

الألف
كتاب
١٧٠

يوميات رحلة فاسكو داجاما

وتقرير
رحلة دوز سانتوس



محرر: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

يوميات رحلة فاسكو داجاما

الألفا كتاب الثاني

الإشراف العام

و. سمير سهرجان
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمسعى المطبعي

مدير التحرير

أحمد صليحة

الإشراف الفني

محمد قطب

الإخراج الفني

محسنة عطية

يوميات رحلة قاسكو داچاما

وتقرير
رحلة دوز سائنوس

ترجمة ودراسة:

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ



الهيئة المصرية العامة للكتاب

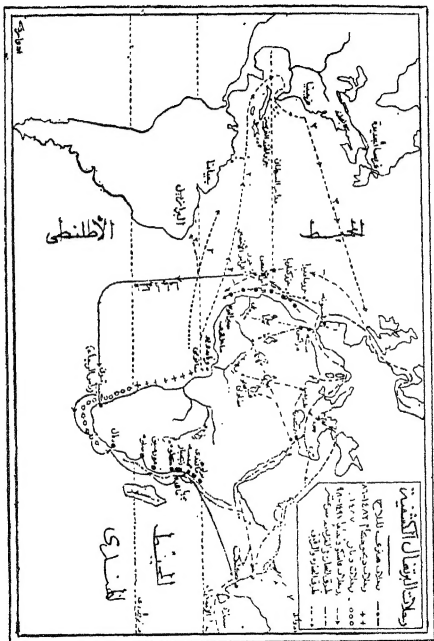
١٩٩٥

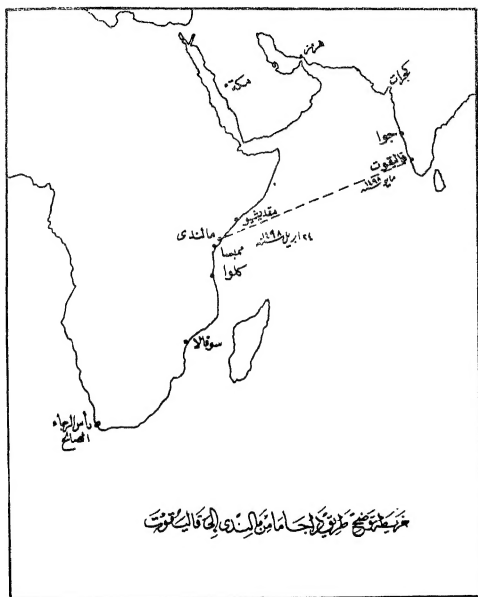
هذه هي الترجمة الكاملة لنص :

Diary of Vasco da Gama's Voyage to India (hanslated from
the Diario da viagem de Vasco da Gama).

فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة المترجم	٧
من يوميات رحلة داجاما	
بقلم بحار مرافق	« ٥
من تقرير رحلة القس	
دوز سانتوس	
عن قلعة سوفالا	٥٥
عن نهر كواما والمناطق القريبة منه	٨٠
عن المانا موتابا	٩٩
التعليقات	١٠٣





مقدمة المترجم

رحلة فاسكو داجاما

في اطار الجهود الكشفية البرتغالية في الشرق

تقديم ترجمة لنص يوميات رحلة فاسكو داجاما للهند مرورا بسواحل أفريقيا الغربية فرأس الرجاء الصالح فسواحل أفريقيا الشرقية حتى مالندى (★) ، فالهند - يحسم كثيرا من القضايا التاريخية التي أثرت حول هذه الرحلة . ومن الغريب أن كثيرين كتبوا عن هذه الرحلة وأشاروا اليها بالرجوع الى مراجع ثانوية كتبت عن الرحلة دون التفكير في الرجوع لنص الرحلة المتاح نفسه ، وهذه أبسط مبادئ التفكير العلمي .

ولم يجد الباحثون الأوروبيون اسم كاتب هذه اليوميات مكتوبا عليها ، لكنهم رجحوا أن يكون كاتبها هو الفارو فلهو Alvaro velho وهو مواطن برتغالي من مدينة باريرو Barreiro وكان مرافقا لفاسكو داجاما في سفينته المسماة سانت رافائيل S. Rafael (١) .

ويذكر اريك أكسيلون Axilon أن النص الذي قدمه لقراءه الانجليز مترجم عن المطبوع التالي :

(★) يتوقف نص اليوميات الذي نقدمه عند ابريل ١٤٩٧ وهو النص الذي اتيح لنا ، ونترك لغيرنا متابعة الرحلات للهند - (المترجم) .

Diario da Viagem de Vasco da Gama, fascimile do codice original
(Vol. 1, Livraria Civilização, 1945).

لكننا لا نعرف ان كان اكسيلون نفسه هو مترجمه أم أن
مترجما آخر قام بهذا العمل .

ويتسم النص بالايجاز الشديد ، اما لأن كاتبه ليس له
فى حرفة الدنابة باع طويل ، واما لأن الظروف كانت تقتضى
ذلك مخافة وقوع النص اثناء الرحلة فى أيدي اطراف معادية
خاصة ان المعلومات عن الطرق البحرية وخرائطها كانت من
الأمور المحظور تداولها علنا ، بل لقد أصدر الملك البرتغالى
فى وقت لاحق قرارا بفرض السرية الشديدة على المعلومات
المتعلقة بالطرق البحرية وأمر باحراق الخرائط التى
يتداولها الناس ، والاكتفاء بما هو موجود بأرشييفات
الدولة (٢) .

ولم يحدد هذا الرحالة المرافق هدف الرحلة منذ البداية ،
اما لأن الهدف كان سرىا لا يعرفه الا داجاما وقلّة قليلة من
المعاونين ، واما حفاظا على السرية للأسباب التى
ذكرناها آنفا .

★★★

وتفاصيل حياة صاحب الرحلة - فاسكو داجاما - غير
متاحة بما فيه الكفاية ، فالتفاصيل عن الرحلة أكثر من
التفاصيل المتاحة عن صاحبها . وان كنا نعلم أنه ولد فى
البرتغال فى سنين Sines حوالى سنة ١٤٦٠ وتلقى جانبا
من التعليم فى ايفورا Evora وحظى ببعض الشهرة فكلّفه
الملك البرتغالى يوحنا الثانى John II ببعض المهام أداها على
خير وجه فرضى عنه العرش (٣) .

وفى سنة ١٤٩٧ قاد أربع سفن لهدفين محددين هما
الوصول لبلاد البهار (الهند) والتحالف مع برستر جسون
(يوحنا) بعد البحث عنه والالتقاء به . أما البهار فههدف
مادى واضح ، فقد كانت أوروبا كلها فى شوق الى بهارات
الشرق لأسباب كثيرة ليس هذا مجال تحليلها ، أما الالتقاء

برسترجون، فهدف غامض يستحق أن نفرد له بعض الفقرات لارتباطه بالتنوير ، ولتوضيح أثر الخرافات المبتوثة على مسيرة التاريخ .

برستر جون المنقذ الذى لا وجود له ، وأمثلة أخرى :

لم تكن فكرة برستر جون (يوحنا) ويقصد بها الأمير الشرقى الذى سيمد يده لأيدى الأوروبيين القادمة من الغرب لخنق الحضارة العربية والقضاء عليها قضاء لا قیامة بعده . لم تكن هذه الفكرة وليدة التاريخ الحديث كما يعتقد بعض الباحثين ، ولم تكن نشأتها مع مطلع حركة الكشف الجغرافية ، البرتغالية منها بالذات ، وانما تعود الى بدايات الحروب الصليبية ، فقد وجد بعض الرهبان ورجال الدين أنه من المفيد لبث العزم فى المقاتلين اخبارهم عن أمير شرقى سيتحالف معهم بمجرد وصولهم لبلاد الشرق ، ولما انتصرت بعض القبائل البوذية التى كان يعمل بينها بعض النساطرة على السلطان سنجر السلجوقى انتصارا مؤقتا ، قيل ان برستر جون المنقذ سيكون منهم وينفذ المهمة الموعودة ، وأشار الرحالة ماركو بولو الى أن برستر جون يقع وراء بلاد المغول(٤)، ولما حطم المغول بغداد وانساحوا فى الشام قيل: « أقبل برستر جون » بينما من المعروف تاريخيا أن المغول سرعان ما تأثروا بمن هزموهم واعتنق غالبهم الاسلام فى سرعة مذهشة ، حتى ان الباحث الأمريكى روم لاندو يقول : « ان هؤلاء المغول قد خضعوا فى النهاية لدين ضحاياهم وثقافتهم » (٥) .

ثم زار مصر سنة ١٤٨٧ رحالة برتغالى كان يعمل لحساب ملك البرتغال وهو بيدرو دى كوفيلهام Covilham ومن مصر - عن طريق البحر الأحمر - وصل لعدن فالهند ، وفى أثناء عودته زار شرق أفريقيا وسمع بالحبشة ، وكان كثير من المعلومات التى قدمها موضوعا بين يدى داجاما قبل

القيام برحلته ، واعتقد داجاما بناء على هذا التراث الغيبي
القديم أن برستر جون المنقذ موجود فى الحبشة •

لنقرأ معا ما أحس به داجاما وبهارته عندما سمعوا وهم
عند الساحل الموزمبيقى من العرب عن وجود مملكة الحبشة :
« لقد أخبرونا أن برستر جون يقع الى الداخل بعيدا عن
الساحل ولا يمكن الوصول اليه الا بركوب الجمال •• وقد
جعلنا هذا فى الغاية من السعادة ورحنا نصيح صيحات
البهجة ودعونا الرب أن يهبنا الصحة حتى نرى ما نرغب فيه
جميعا » (٦) •

ولم يهب برستر جون (الحبشى هذه المرة) لنجدهم أو
مساعدهم ، وضرب داجاما مدن الساحل الأفريقى فى رحلة
تالية وأحرقها دون مبرر عسكري أو حتى تجارى بأمل أن
يسمعه برستر جون ويأتى اليه لتحقيق النبوءة القديمة أو
الخرافة القديمة - ولكنه لم يأت ، ولما وصلت - بعد ذلك -
بمئات الجزويت الى الحبشة ، انشغل البرتغاليون عن التحالف
مع برستر جون الحبشى ، بتحويله للكاثوليكية (٧) ، ورفض
الأحباش ذلك لتظل كنيستهم - كما هى - ذات طابع شرقى
لا يؤثر فيه الاستعمار (٨) ، (٩) •

المهم هنا تبيان خطورة الأفكار الغيبية فى توجيه حركة
التاريخ ، وهو أمر تعتمد بعض المؤسسات والأجهزة لترويعه
مستغلة أفكارا أو نصوصا مضت عليها مئات أو آلاف السنين ،
ولا يبعد عن هذا كثيرا استغلال الأحاديث المسكذوبة
(الموضوعه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتكريس
الكرامية ضد جماعة أو أخرى أو ضد اتجاه أو آخر أو
امتصاص الغضب الجماهيرى •• الخ (١٠) •

ويأسف واحد من الباحثين الغربيين (اريك أكسيلون)
لأن جنوب أفريقيا كانت بالنسبة للملاحين البرتغاليين فى
أواخر القرن الخامس عشر مجرد حائل كئيب كانوا يتمنون

عدم وجوده لأنه يحول بينهم وبين الوصول الى برستر
جون(١١) ، وهكذا منعت هذه « الفكرة الغيبية » التغلغل
لبرتغالى فى منطقة أقرب للبرتغال واكثر نفعا (من منظور
ستعمارى) وعندما استيقظت بعد ذلك كانت دول اخرى
أوروبية قد سبقتها •

★★★

وقد حظيت رحلة دا جاما بشهرة فائقة كما هو معروف
لا ان هذا لا يجعلنا نغفل أن فاسكو داجاما عندما أبحر من
لبرتغال كان كل ساحل أفريقيا الغربى مطروقا ، وسبقه
ليه رحلة برتغاليون آخرون ، وقد بدأت هذه الجهود منذ
أيام الأمير هنرى الملاح الذى أصبح حاكما للبرتغال فى
لفترة من ١٣٨٤ الى ١٤٦٠ :

الوصول لجزر كنارى واحتلالها	١٤٢٤ -
جزر ماديرا Madera	١٤٣٠ -
جزر أزوروس Azores	١٤٣٧ -
اكتشاف ريو دو أورو Rio de Oro	١٤٣٩ -
اكتشاف الرأس الأبيض	١٤٤١ -
مصب السنغال والرأس الأخضر	١٤٤٢ -
الوصول لساحل سيراليون	١٤٦١ -
عبرت السفن البرتغالية خط الاستواء	١٤٧١ -
ديجو كام Cam يصل لمصب الكونغو	١٤٨٤ -
١٤٨٦ - ١٤٨٨ رحلة بارثولومو دياز Cam الشهيرة	
الى الطرف الجنوبى لأفريقيا بل وغيره	
لمسافة قليلة الى الشرق ، وأطلق على	
النقطة التى عبر منها الى الشرق رأس	
العواصف وسمى بعد ذلك تيمنا رأس	
الرجاء الصالح •	

كما كانت بين يدى داجاما كما سبق أن ذكرنا تقارير

بعض الرحلات البرية للهند وشرق أفريقيا لرحالة برتغاليين،
وربما غير برتغاليين (١٢) •

مسألة ارشاد البحارة المسلمين لفاسكو داجاما :

شغل الباحثون العرب أنفسهم ردحا من الزمن بمسألة
من أرشد فاسكو داجاما للطريق الى الهند ، وقد وقع هذا
العبء فى النهاية على الملاح العربى الشهير شهاب الدين
أحمد بن ماجد (١٣) ، وتصدى بعض الباحثين مدافعا عن
ابن ماجد وناسبا ذلك لمسلم آخر هو المعلم كاناكا من كجرات
بالهند . والواقع أن الرجوع للاصول يكفيننا مؤونة ذلك كله •

اننا نفهم من ثنايا نص الرحلة الذى كتبه رحالة مرافق
أن فاسكو داجاما اصطحب معه منذ بداية الرحلة - أى منذ
خروجه من البرتغال بحارا أو ربانا مسلما - يقول : « • • • لقد
فهم البحار كل ذلك ، وكان القائد العام قد حمل هذا البحار
معه ، وكان أسرا من المسلمين • • • ولهذا السبب فقد فهم
ما قاله أولئك البشر الذين قابلناهم هنا ، وأكثر من هذا فقد
قال هؤلاء المسلمون (السود) اننا سنواجه كثيرا من العقبات
المائية shaols • • » (١٤) •

والمنطقة التى يشير اليها كاتب الرحلة الى الجنوب من
سوفالا الحالية (فى موزمبيق) • لقد استقبل السكان هؤلاء
الأغراب بترحاب ودلوهم وقدموا لهم المعلومات تطوعا أو
بمقابل يسير ، ربما لأنهم لم يكونوا يعرفون أهدافهم •

ونفهم من ثنايا النص أيضا أن فاسكو داجاما دعا
سلطان جزيرة موزمبيق المسلم الى سفينته وأطعمه كثيرا من
التين والفاكهة المحلاة بالسكر ، ولما أدرك داجاما أن السلطان
قد أحس بالامتلاء رجاء أن يزوده باثنين من المرشدين
البحريين « ليذهبوا معنا » وقد وافق السلطان على ذلك
« شريطة أن نكافئهم » • حقيقة لقد هرب أحد الدليلين ،
وحاول السكان انقاذ الآخر ، لكنهم لم يستطيعوا ، بل ان كاتب

الرحلة يؤكد أن هذا الدليل المسلم قد نبههم الى كثير من الأخطار وأنه لولاه لتعرضوا للقتل على ساحل شرق أفريقيا (ساحل موزمبيق الحالية) . (١٥) .

ونفهم أيضا أن سفن دا جاما قوبلت بترحاب بالغ من قبل أحد شيوخ أو سلاطين الساحل ظلنا من هذا السلطان (الشيخ) ان هؤلاء البرتغاليين أتراك قدموا من بلاد السلطان العثماني . لنقرأ ترجمة لما قاله هذا البحار المرافق لداجاما :

« وفي اليوم الذي دخل فيه نيقولا كولهو Coelho أقبل زعيم هذه الأنحاء الى السفينة وبصحبه خلق كثير ، واستضافه كولهو ، وأحسن استقباله وقدم له معطفا أحمر ، فقدم له الزعيم (المسلم) مسباحا أسود الحبات كان يضعه حول عنقه دليلا على المحبة والمودة وطلب من نيقولا كولهو أن يعود بقارب برتغالي فأمر له بقارب ، وبعد أن رسا أخذ من كان معه من (البرتغاليين) الى منزله وطلب منهم الإقامة عنده ، وأرسل الى نيقولا كولهو برشا من العجوة المخلوطة بالقرنفل وبذور الكمون ، وأرسل يعد ذلك لقائدنا العمام (دا جاما) كثيرا من الهدايا ، لقد فعلوا كل ذلك وهم يظنوننا طوال الوقت أتراكا ، وقد كانوا يسألوننا ان كنا قد قدمنا من تركيا وطلبوا منا أن نريهم سهامنا وكتب الشريعة التي لدينا . » (١٦) .

ويحدثنا البحار المرافق أن (ملك) موزمبيق أرسل الى داجاما أحد الأشراف وهو لقب يطلق على الذين يدعون الانتمساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - لم يترك بعد وفاته ولدا ، ويصف هذا البحار المرافق الشريف بأنه كان سكيراً من الطراز الأول وكيف عرف هذا البحار المرافق لداجاما ادمان الشريف للخمر ؟! لا بد أنه رأى داجاما يشبع نهمه في هذا المضمار .

وقد طلب هذا الشريف (مندوب الملك) أن يعقد داجاما
سلاما وان يصبح هو والملك أصدقاء (١٧) .

ويحدثنا هذا الرحالة المرافق لداجاما أن رجلا وابنه
قد ركبا في « احدى سفننا » وقال انه يرغب في الذهاب
معنا ، ما دمتنا سنذهب قريبا من مكة (المكرمة) « فهو قد اتى
الى موزمبيق كدليل بحرى لاحدى السفن وهو يريد
العودة » (١٨) * ٥٥ هو دليل بحرى آخر صاحب سفن داجاما
الى بقية الساحل الأفريقى حتى مالندى على الأقل ، وربما
أقنعه داجاما بالذهاب معه للهند . فكاتب الرحلة واعنى
هذا البحار المرافق لداجاما قد كتب يومياته باختصار شديد ،
فالهمة السرية للرحلة جعلته يكتب فى أقل قدر من الأوراق
حتى يمكنه التخلص منها اذا جاء وقت الخطر ، ومن الواضح
من سياق الرحلة أن كاتبها لم يكتب هدفها منذ البداية
بوضوح واكتفى بالقول ان الهدف هو البحث عن البهار ،
ولكنه لم يشر للهند .

ليس ابن ماجد اذن هو البحار المسلم الوحيد الذى
ساعد داجاما فى رحلته ، وانما هناك مسلمون كثيرون
آخرون ساعدوا داجاما منذ بداية رحلته . ان السياق يوضح
أن داجاما قدم نفسه فى مرحلة من المراحل لمسلمى شرق
أفريقيا على أنه تركى ، أو أنهم فهموا انه تركى ، وأنه
بالتأكيد قد استثمر هذا الجهل واستغله أبشع استغلال وان لم
يعترف كاتب اليوميات - صراحة - بهذا المكر .

وقد حاول بعض الباحثين انكار قيام ابن ماجد بهذا
العمل (ارشاد داجاما الى الطريق الى الهند) باعتبار ابن
ماجد كان يقول الشعر فى ذم الخمر وشاربها ، فكيف يذم
الخمر ثم يشربها على مائدة داجاما ؟! والواقع أنها حجة
واهية فكثيرون هم الذين يلعنون الخمر وشاربها ، لكنهم
يفعلون غير ما يقولون فيشرّبونها صفراء ذهبية أو شفاقة
قد رقت « فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر » (١٩) .



ومما يؤسف له أن النص الذى بين أيدينا والذى نشره اريك اكسيلون يتوقف عند يوميات ابريل ١٤٩٨ أى وسفن داجاما فى موضع ما شمال مصب الزمبىزى على ساحل أفريقيا الشرقى ، وبذلك نكون قد حررنا من متابعة الرحلة الى كلكتا .

★★★

أما النص الثانى الذى نقدمه فى هذا الكتاب فهو جانب من رحلة القس الدومنيكانى جاو دوز سانتوس Joao Dos Santos الذى وصل من لشبونة الى موزمبيق سنة ١٥٨٦ ثم ذهب الى سوفالا بناء على تعليمات تلقاها ، لكنه سرعان ما عاد الى موزمبيق فى يوليو ١٥٩٠ وذهب الى سنا Sena وتيت Tete والزمبىزى Zembesi ومكث فى تيت Tete حتى مايو ١٥٩١ وأبحر فى نهر الزمبىزى عائدا الى موزمبيق ، وبشر بالمسيحية فى جزيرة كويرمبا Querimba وعاد الى سوفالا Sofala مرة أخرى فى أبريل ١٥٩٤ ومكث بها حتى ابريل ١٥٩٥ . وجميع المدن التى ذكرناها أنفسا تقع فى دولة موزمبيق الحالية . ونص رحلة دوز سانتوس بالاضافة للنص المتاح ليوميات رحلة داجاما هما أهم نصين متاحين عن الجهود الكشفية البرتغالية فى السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر أى من رحلة داجاما التى بدأت ١٤٩٧ وحتى نهاية رحلة دوز سانتوس فى موزمبيق ١٥٩٥ . والنص الذى نقدم ترجمته فى هذا الكتاب ليس كاملا . وان كان النص الكامل للرحلة قد نشر تحت عنوان Dos Santos's Ethiopia Oriental فى البرتغال سنة ١٦٠٩ ، ونشر الانجليزى صمويل بيرشاس purchas بعد ذلك بفترة ليست قصيرة ترجمة مختصرة (غير كاملة) له . أما النص الذى يطالعه القارئ فى هذا الكتاب فقد نشر فى جلاسجو Glasgow سنة ١٩٠٥ وأعاد نشره اريك اكسيلون Eric Axilon فى كتاب بعنوان South African Explorers نشر فى لندن ١٩٥٤ فى ٣٥٠ صفحة .

وفيما يلي عرض لبعض الأفكار التي وردت في رحلته :

العهد القديم واختيار موزمبيق مستعمرة برتغالية دائمة :

ترجع أهمية الرحلات كمصدر للتاريخ - بالإضافة لأهميتها في مجالات أخرى ، أنها تورد لنا الأفكار الشائعة بصرف النظر عن صحتها ، وهذه الأفكار الشائعة أو المبتوثة أو الراسخة في ضمائر المجموعات البشرية - بصرف النظر عن صحتها - كثيرا ما توجه أحداث التاريخ . لقد كان من المفهوم أن يتمركز البرتغاليون في منطقة رأس الرجاء الصالح بعد الكشف ، فالرأس هو ممر الطريق الى الشرق ، ولكن البحث عن يوحنا المنقذ شغلهم عن ذلك ، وقد تمركز البرتغاليون في سوفا لا على ساحل شرق أفريقيا الى الجنوب من نهر روفوما فيما يعرف بموزمبيق الحالية . ولا شك أن أسبابا عملية دعتهم لذلك ، لكن سببا آخر جوهريا لا يمكن اغفاله ، فقد روج بينهم البعض ان تلال فورا Fura هي تلال الذهب التي كان يغترف منها سليمان عليه السلام والتي وردت في التوراة . يقول القس دوز سانتوس : « وفوق قمة جبل فورا Fura لا تزال ظاهرة للعيان بقايا أسوار قديمة وآثار خرائب من كتل حجرية وصخور مما يشير الى وجود مبان قوية في وقت مضى وهو أمر غير مألوف في كل بلاد الكافير (كافراريا) فحتى بيوت الملوك مشيدة من خشب وطين ومغطاة بقش . . وأهل البلاد خصوصا من المسلمين يروون عن أجدادهم أن هذه المباني كانت للملكة سبأ Saba التي نقلت كثيرا من الذهب من هنا . ويقول آخرون ان هذه المباني كانت تخص سليمان (عليه السلام) وان تلال فورا Fura أو أفورا Afura هذه ليست سوى أفير Ophir ، ولفظ فورا أو أفورا لا يبعد كثيرا عن أفير Ophir رغم مرور هذا الزمن الطويل . وبالفعل فان حول هذا الجبل ذهبا وافرا من نوع جيد (٢٠) » .

الحاكم فى المجتمع البدائى :

الحاكم أو الملك أو ملك الملوك هو الانسان الكامل من وجهة نظر الشعوب البدائية ، لا ينبغي له أن يضعف أو يهن سواء من الناحية الجسمية أو من ناحية القدرة على كل شئ حتى انزال المطر وازالة الجذب • والوضع يختلف بطبيعة الحال ان كان الحاكم قبليا ، فالزعيم القبلى غير الملك أو الحاكم الذى يحكم عدة قبائل أو جماعات • والطريف أن كثيرا من الأفكار البدائية عن الحاكم موجودة على نحو أو آخر فى القرن العشرين رغم كل هذا التطور والتغيير ، فالغاية لا تزال — على نحو أو آخر — فى أعماقنا • لا بد أن يكون ملك الملوك فى مجتمع الغاية « فعلا » أى قادرا على التزوج من نساء كثيرات وقادرا على الانجاب ، وأن يكون « مقتنا » للنساء فى هذا المضمار ، فاذا أحس الحاكم بوهن فى هذا المجال كان عليه أن يتنحى أو يقتل نفسه بتناول السم ، فالمفترض أن الملك أو الحاكم قادر على شعيه ذه حتى فى هذا المجال ، ومن المعلومات الطريفة التى قدمها دور سانتوس أن من ألقاب التشريف التى كان يمنحها الملوك فى هذه الأنحاء لقب « زوجة الملك » بمعنى أن الملك أن رضى عن رجل وصفه بأنه « زوجته » وقد منح بعض ملوك هذه الأنحاء بعض القباطنة البرتغاليين هذا اللقب فكانوا « زوجاته » لكن هذا لا يعنى — غالبا — أنه كان يعاملهم كنزوات بالفعل ، على أية حال فإن الفكرة — كما نظن — لم تنمح تماما من مجتمع الانسان فعادة ما يصاحب تولى الرؤساء الجدد فى أوروبا وأمريكا الشمالية شائعات عن علاقة جنسية لهذا الرئيس أو ذاك ، ورغم رفضها من الناحية الرسمية فإنها تبدو فى حالات كثيرة وكأنها مطلوبة • وفى المجتمع البدائى اذا فقد الملك احدى أمنانه الأمامية أو أصيب بالعرج أو أى عاهة أخرى تجعل صورته ناقصة ، أو أصيب بمرض واضح كالجدام كان عليه تناول السم فى الحال ، فالحاكم لا بد أن يكون « كامل الأوصاف » • لكن تطورا مهما

حدث على أيام دوز سانتوس (أواخر القرن السادس عشر) اد
رفض الملك أن يتنحى أو يتناول السم رغم أنه فقد أسنانه
الأمامية ، وأعلن أنه رغم - فقد أسنانه - سيبقى حفاظا على
مصالح الشعب ، وأعلن أنه لا ينصح أى ملك من خلفائه
بتناول السم لمثل هذا السبب ، وعاب على أجداده أنهم فعلوا
ذلك . ولا بد أن هذا الملك الجريء كان لديه من القوة الكافية
ما جعله يفرض هذا الرأى على الناس ، أو - وهو الأمر
المرجح - أن يكون متمتعا « بالفحولة » الكافية التى جعلت
نساءه يتمسكن به ويبقينه فى القصر الملكى ، فللنساء
الملكيات دور كبير فى تعيين الحاكم كما يتضح * من خلال
النص التالى :

« وفى اليوم نفسه الذى يموت فيه الكوبتيف (ملك
الملوك) يتم حمله الى التل فيدفن حيث دفن الملوك السابقون .
وفى بكرور اليوم التالى يذهب ملك الملوك الجديد الى منزل
ملك الملوك السابق فتستقبله زوجته ومحظياته ويدخل
المنزل - بموافقتهم وقبولهن - ويجلس مع الزوجة الأساسية
* وفى اليوم التالى يعلن الملك فى سائر أنحاء البلاد أنه سيعين
ولى عهده ، وفى بعض الأحيان يكون هناك متنافسون كثيرون ،
وفى هذه الحالة يقوم الملك بقبول من ترشحه النساء ،
فلا أحد يمكنه الدخول دون أذنهن ، ولا أحد يمكنه أن يكون
ملكاً دون رضاهن ، لذا يعتمد كثيرون الى رشوة النساء أو
ارضائهن بأية وسيلة أخرى لضمان وقوفهن الى جانبه » بل
أكثر من هذا فإن الملك اذا تناول السم ومات فإن ولى العهد
لا يمكن أن يبقى دون موافقة النساء رغم تعيينه فى عهد
الملك السابق . يقول دوز سانتوس : « * وعلى ولى العهد أن
يحظى بقبول النساء ليصبح ملكاً بعد وفاة الملك ، فاذا لم
يستلطفنه استدعين فى الليل - سرا - أميرا آخر يكون قريباً
الى قلوبهن فيقدمنه ويجتمعن حوله فى الصالة الملكية ويوعزن

بالاعلان أنه كان وليا للمعهد وصار ملكا . أما الآخر الذى لم يحفظ برضاء نساء الملك المتوفى فانه يهرب خوفا على حياته . وقد يجمع أعوانا ويدخل القصر الملكى بالقوة ولكن هذا نادر الحدوث ، فالملك هو من ترضى عنه نساء القصر (٢١) » .

والحاكم فى المجتمع البدائى لا يد أن يكون متفردا فلا ينبغي لأحد أن يصف شعره بالطريقة التى يستخدمها الملك ولا ينبغي أن يضع قرونا كقروته (٢٢) .

العدالة وشرطة الملك :

ويعجب المرء من قوة التراث الوثنى الذى لازالت آثاره باقية حتى اليوم رغم هداية الأديان السماوية التى ظلت تكافح الوثنية أكثر من ألفى عام . فدور سانتوس يحدثنا أن دليل براءة المتهم هو لعق حديدة محمسة فان كان بريئا لم يحرق لسانه وان كان مذنباً أحرق ، وإذا كان سكان منطقة مصب الزمبيزى وسكان حوض نهر سوفالا يسمون هذه الحديدة المحمسة (زكوا) فان البدو فى صحراء مصر الشرقية والغربية وسيناء يسمونها (بشعة) ، وثمة دليل آخر هو تناول سم معين لا يحدث تأثيرا فى البرىء ، ويقول القس ان أحد البرتغاليين اتهم عبده بالسرقة وقدم له السم فلعهقه ولم يصبه بشيء ، ونحن هنا ازاء حالات لم تخضع للدراسة العلمية بشكل كاف ، أو أن التأثير الروحى والنفسى لهما قوة هائلة لم يفجر العلم طاقاتها بعد .

ويحدثنا سانتوس أن عقاب المذنب فى بعض الجرائم هو مصادرة ممتلكاته ويقصد بها زوجته وأطفاله ومتاعه ، اذ يتم اقتسام هذه الأشياء جميعا بين الملك والمبلغ (بتشديد اللام وكسرها) مما يعطى مباحث الملك قوة هائلة ، ومن حق (شرطة) الملك أن يحصلوا على ما يريدون من الناس دون

مقابل سواء رضوا أم أبوا * وتبتعد المجتمعات الحديثة عن هذه الممارسات بقدر بعدها عن الوثنية (٢٣) *

ولم يصف دوز سانتوس كثيرا لعلم الجغرافيا الطبيعية ولم يقدم تفاصيل كافية عن نهر الزمبزي ، وبالتالي لم يحدد منايعه ، ورغم كل هذا فإن وصفه التفصيلي للحياة والعادات والتقاليد ، والنبات والحيوان فى هذا الساحل الموزمبيقى وبعض ظهيره الداخلى جعله لفترة طويلة مرجعا أساسيا عن هذه الأنحاء *

★★★

كلمة أخيرة :

وإذا قلنا فى ثنايا الصفحات السابقة ان رحلة داجاما مهمة فى ذاتها لأبعادها المالية ولتأثيراتها الحاسمة فى مسيرة التاريخ الحديث بشكل عام ، والحركة الاستعمارية الأوروبية بشكل خاص ، فإنها أيضا أى رحلة داجاما بالاضافة لكتابات دوز سانتوس هما أهم جهود كشفية برتغالية فى القرن السادس عشر فى القارة الأفريقية بحيث انه كان يمكننا ببساطة أن نضع لهذين النصين بالاضافة لما كتبناه كمقدمة لهما عنوانا هو : الجهود الكشفية البرتغالية فى أفريقيا فى القرن السادس عشر لكن هذا لا يمنع وجود رحالة آخرين لم يتركوا لنا نصوصا لرحلاتهم أو لم يعثر الباحثون عليها ، لذلك لزم التنويه ببعض هذه الجهود من خلال عرضنا لما كتبه اريك اكسيلون ، وهو ما نعرضه فى السطور التالية *

لقد دارت سفح داجاما حول الرأس * ولم تمض على نهاية القرن السادس عشر الا خمس سنوات حتى أسس البرتغاليون مستوطنة فى سوفالا بالقوة ، وبعد عامين فقط وضع البرتغاليون أقدامهم بشكل دائم فى موزمبيق * وسرعان ما أكدت هذه المحطة فائدتها وقيمتها اذ أصبحت مرفأ للسفن ، وكان يمكن للسفن الانتظار فيها حتى يتغير اتجاه الرياح ،

واتبنت الأيام — كما يقول أكسيلون — أن سوفا لا وما حولها ليست هي أوفير Ophir (منجم الذهب المشار اليه في العهد القديم) • ولما فشل التجار المسلمون في امداد القلاع البرتغالية بما كانت تطلبه من تبر Gold-dust ومون ، تم ارسال احد البرتغاليين ليبحث عن هذين المطلبين • وكان هذا البرتغالي مطرودا من البرتغال ومنفيا الى أفريقيا لارتكابه بعض الجرائم • وقام هذا الطريد برحلتين أو أكثر قبل ١٥١٤ لكننا لا نعرف عن رحلاته هذه الا القليل من خلال التقارير الرسمية القليلة • وقد كشف هذا الرجل معظم ما نعرفه اليوم باسم ماشونالاند Mashonaland وكان يركز في تقاريره على الذهب والغلal • وحقق شهرة واسعة بين أهل البلاد فاعتبروه رجلا طيبا • وكان اسمه انتونيو فرناندز Antonio Fernandes وهو يمد أول — وربما أعظم — مكتشفى المناطق الداخلية لجنوب أفريقيا • لكن شيئا من مكتشفاته لم ينشر •

وزادت المعلومات عن المناطق الساحلية لجنوب أفريقيا بسرعة كبيرة بسبب عمليات البحث عن أحياء بين حطام السفن على السواحل • ففي حوالى سنة ١٥١٤ قام يوحنا (جون) اللشبونى الدليل البحرى الذى ربما يكون قد صاحب فاسكو داجاما فى رحلته الأولى — قام بتجميع سجل رسمى لخط سير الرحلة وقدم وصفا للكائنات الطبيعية على الساحل وتفاصيلات جغرافية أخرى • أما الناجون من السفن المحطمة فكانوا يصلون الى أى مكان يمكنهم الوصول اليه وقد سجل بعض الناجين من هذه السفن تجاربهم ولكنها كانت تتعرض لما واجهوه من صعوبات ولم تكن أعمالا وصفية علمية تصف الطبيعة والسكان • فعلى سبيل المثال نجد أن سبلفيدا Sblifeda كان قائدا للسفينة سانت جاو Pondo-St. Joao التى جنحت لأرض البندولاند land Delagoa Bay سنة ١٥٥٢ ومع ذلك لم يحقق خليج

(★) أى لم يدرك أنه فى خليج دلجو — (المترجم) •

وهو الخليج الذى جنحت سفينته عنده وقام المؤلف الذى كتب
 مأساة هذه الرحلة بالتركيز على الحياء والخجل الذى اعترى
 السيدة دونا ليونور Dona Leonor زوجة القبطان سبولفيدا
 عندما رأت الرجال الأفريقيين عراة * لقد احمر وجهها ،
 وراحت تفتح عينيها لتتنظر ثم تغمضهما وهى تقول : «اوه»
 * أو «آه» أو تخرج بعض الاصوات الأخرى، واعتبر المؤلف
 ذلك خجلا ، وراح يصف زوجة القبطان وهى فى حالة
 « الخجل » هذه دون أن يصف لنا الأفارقة * أما بالنسبة
 للمستعمرات البرتغالية ، فبناء على نصيحة فرناند المجرب
 (المجرم التائب أنف الذكر) تم القيام بأول استطلاع
 تجارى فى جنوب أفريقيا عن طريق الزمبىزى ، لذا ففى
 منتصف القرن السادس عشر كانت هناك بعض التجمعات
 البرتغالية حتى ما يعرف اليوم باسم زمبابوى وهى مونوماتابا
 Monomotapa التى أشار إليها دوز سانتوس فى رحلته ،
 لكن هؤلاء التجار كانوا منشغلين بتجارتهم أكثر من انشغالهم
 بكتابة مذكرات أو يوميات عن المنطقة بل ان المبشر الجزويتى
 دا سيلفيرا الشهير da Silveira عندما تعرض للمقتل لم يحرك
 التجار البرتغاليون ساكنها وكان الأمر لا يعنيههم ، لكن مقتل
 هذا المبشر قد أوجد المبرر على أية حال للتدخل فى شئون
 المونوماتابا والاستيلاء على مناجم الذهب بعد ذلك (٢٤) *

هذا العرض الكامل يؤكد للقارئ والباحث أننا قدمنا
 أهم نصين عن الكشف البرتغالية فى أفريقيا منذ الأعوام
 الأخيرة للقرن الخامس عشر حتى الأعوام الأخيرة من القرن
 السادس عشر ، هذا ان لم يكن هذان العملان هما الأهم على
 الاطلاق - بالاضافة - كما سبق القول - للبعد العالمى لرحلة
 فاسكو داجاما *

والله من وراء القصد

• عبد الرحمن الشيخ

من يوميات رحلة واجاما

بقلم بحار مرافق

بأسم الرب • آمين

فى سنة ١٤٩٧ وفى عهد مليكنا دوم مانويل Dom Manoel
- أول من حمل هذا الاسم من ملوك البرتغال - صدرت
الأوامر لأربع سفن بالخروج فى رحلة كشفية بحثا عن
البهارات • وكان فاسكو داجاما هو القائد الأعلى لهذه
السفن ، وفاز باولو داجاما - أخو فاسكو - بقيادة إحدى
السفن ، بينما حظى نيكولو كولهو Nicolau Coelho بقيادة
سفينة أخرى •

وأقلعت سفننا من رستيلو Restelo يوم السبت الموافق
لليوم الثامن من شهر يوليو من العام الذى ذكرته أنفا
(١٤٩٧) عسى أن يسمح الله لنا أن نكمل رحلتنا ابتغاء
مرضاته • آمين •

أولا - لقد وصلنا يوم السبت التالى بحيث نرى جزر
كنارى Canaries (٢٥) ، وفى تلك الليلة جرفتنا رياح
لانكاروت • وبعد الليلة التالية وجدنا أنفسنا فى مطلع
الصباح على مبعدة من ترا ألتا Terra Alta على الساحل
الغربى لأفريقيا (٢٦) فرحنا نسطاد السمك لحوالى
ساعتين ، وفى هذه الليلة كنا بعيدين عن ريودوريو Rio do
Ouro عندما حل الغسق ، وقد كان الضباب كثيفا حتى
أن باولو داجاما افتقد أثر الأسطول كله ، فاتفقنا
غير الذى اتخذه القائد العام ولما طلع النهار لم نر سفينة
القائد العام ولا أية سفينة أخرى فاتخذنا سبيلنا الى جزر
كاب فيردى (الرأس الأخضر) (٢٧) لأن الأوامر كانت قد

صدرت اليينا سابقا بأن آية سفينة تضل طريقها على قائدها
أن يرسو في هذه الجزر •

وفي يوم الأحد التالى رأينا فى الصباح جزيرة سال Sal
وبعد ساعة وقمت أنظارنا على ثلاث سفن ، فراقبناها بانتباه
فوجدنا سفينة التموين وسفينة نيكولو كولهو وسفينة
بارثومو دياز (٢٨) التى كانت ذاهبة - بصحبتنا - الى ميناء
Mina (٢٩) • وكانت هذه السفن بدورها قد اقتقدت
سفينة القائد العام (فانسكو) • وبعد أن التأم شملنا واصلنا
إبحارنا معا الا أن الريح كانت خاملة فاضطررنا للتوقف
حتى صباح الأربعاء •

وفي الساعة العاشرة وقعت أبصارنا على سفينة القائد
العام على بعد خمسة فراسخ (٣٠) وباقتراب فترة ما بعد
الظهر كنا نتحدث معه بسعادة تفوق الوصف ، وأطلقنا كثيرا
من القذائف ونفخنا فى الأبواق تعبيرا عن فرحتنا الكبرى
بالعثور عليه •

وفي اليوم التالى وكان يوم خميس وصلنا لجزيرة
سنتياجو Santiago حيث غمرتنا الفرحة والسعادة فاقتربنا
من ساحل سانتا ماريا Santa Maria وتزودنا باللحم
والماء والأخشاب وأصلحنا ما هو ضرورى فى عوارض سفننا •

وفي يوم الخميس الموافق الثالث من شهر أغسطس
غادرنا مبحرين صوب الشرق وفى الثامن عشر من الشهر
نفسه كنا على بعد حوالى مائتى فرسخ من جزيرة سنتياجو •
وكسرت رياح الشمال العارضة الرئيسية لسفينة القائد
العام ، فأوقفنا السفينة تحت الشراع الأمامى والشراع
الرئيسى ليومين وليلة •

وفي ٢٢ أغسطس شرعنا فى الإبحار فى اتجاه الجنوب
الغربى فوجدنا كثيرا من الطيور التى تشبه طائر البلشون

(مالك الحزين) ولما اقترب الليل طارت صوب جنوب الجنوب الشرقي طيرانا قويا كالطيور التي تشكل - أثناء طيرانها - شكلا يشبه اللسان الداخل في البحر foreland وقد رأينا في هذا اليوم نفسه حوتا •

الجمعة ٢٧ أكتوبر :

وفي يوم الجمعة الموافق للسابع والعشرين من شهر أكتوبر، وهو يوم القديس سيمون ويهوذا (Simon and Judas)؟ لاحظنا كثيرا من الحيتان وذئاب البحر Sea wolves وتلك الحيوانات البحرية التي تسمى الفقمة quogas •

الأربعاء ، أول نوفمبر :

وهو يوم القديسين ، لاحظنا كثيرا من العلامات الدالة على اليابسة ، فبعض الأعشاب البحرية والطحالب البحرية كانت نامية على طول الساحل •

السبت الرابع من نوفمبر :

وجدنا في هذا اليوم ، قبل الفجر بساعتين ، قاعا بحريا لا يقل عن ١١٠ فازومات (مائة قامة وعشر قامات) وفي الساعة التاسعة من اليوم نفسه شاهدنا برا ، فاقتربت السفن من بعضها ، وحيينا القائد العام برفع الأعلام والرايات (الألوية) Flags and Standards وأطلقنا المدافع ، ولبسنا ملابس الاحتفالات - ولما اقتربنا من البحر ، غيرنا اتجاه السفينة لعرض البحر (المحيط) فنحن لم نتعرف على هذه اليابسة بعد •

الثلاثاء السابع من نوفمبر :

في هذا اليوم عدنا مليابسة التي كنا قد عزفنا عن النزول عليها فرأينا منطقة منخفضة وخليجا كبيرا ، فقام

القائد العام بارسال بيرو دى النكوير Pero de Alenquer
لاستطلاع المنطقة ومعرفة ما اذا كان يمكننا اللجوء اليها
ووجد يترو Pétro أنها منطقة صالحة جدا ، يمكن للسفن ان
ترسو بها ، فالقاع خال من العوائق ، وهى محمية من الرياح
فيما عدا الرياح الشمالية الغربية ، ويمتد هذا الخليج من
الشرق الى الغرب ، وقد أطلقوا عليه اسم خليج القديسة
هيلانة (سانت هيلانا St. Helena) .

الأربعاء ، الثامن من نوفمبر :

فى هذا اليوم القينا مراسينا فى خليج سانت هيلانة
أنف الذكر ، ومكثنا هنا ثمانية أيام ننظف السفن ونصلح
الأشرعة ونجمع خشب الوقود .

وعلى بعد أربعة فراسخ من هذا الخليج فى اتجاه الجنوب
الشرقى يوجد نهر ينبع من المناطق الداخلية وتتناثر الصخور
فى مجراه عند مصبه ، ويبلغ عمقه فازومين (قامتين) أو
ثلاثة فازومات عند المد ويسمى نهر سنتياجو Santiago River
وتعنى نهر الجبل الجليدى العظيم the Great Berg River (؟) .

والناس فى هذه المنطقة دأكنو البشر ، وهم لا يأكلون
الا ذئاب البحر Sea-wolves والحيثان ولحوم الغزلان وجذور
النباتات . ويضع الواحد منهم على عورته غطاء . أما
أسلحتهم ففروع من أشجار الزيتون البرية يعالجونها بقرون
الحيوانات التى يشكلونها بالنار . ولديهم كلاب كثيرة
كالكلاب فى البرتغال وتنبج مثلها .

وطيور هذه المنطقة كالطيور فى البرتغال وهى طيور
الفاق Cormorants (٣١) وطيور زمج الماء Gulls ١٣٢٦
والأطرغلات Turtle-doves (٣٣) والقبيرات larks (٣٤) وطيور
أخرى كثيرة . وأرض المنطقة مزدهرة بالأعشاب الريانة ،
ومناخها صحى ومعتدل .

وفى اليوم التالى لاستراحتنا فى هذه المنطقة ، وكان يوم خميس ذهبنا للساحل مع القائد العام واقتنصنا احد رجال المنطقة . لقد كان ضئيل البدن ، وبدا مثل سانشو مكسيا Sancho Mexia . وكان فى طريقه لجمع عسل النحل البرى من المناطق القاحلة فنحل هذه الانحاء يضع عسله على اطراف الأدغال . وأخذنا هذا الرجل الى سفينة القائد العام ، فأجلسه القائد العام على مائدته ، فاكل من كل ما اكلنا منه . وفى اليوم التالى ألبسه القائد ملابس جميلة جدا وأمر بارساله للساحل . وفى اليوم التالى أتى الى سفينتنا اربعة عشر رجلا أو خمسة عشر فأراهم القائد العام بضائع كثيرة ليعرف ما اذا كان لديهم منها أم لا . لقد أراهم قرفة ، وقرنفلا ولؤلؤا Seed pearls وذهبا وغير ذلك ، فأتضح أنهم لا يعرفون عنها شيئا فقد بدا كأنهم لم يروا مثله من قبل ، فأعطاهم القائد العام أجراسا صغيرة وحلقات من صفيح . لقد حدث هذا يوم الجمعة ، وحدث شيء كهذا يوم السبت التالى .

وفى يوم الأحد أتى حوالى أربعين أو خمسين منهم ، وبعد أن تناولنا غداءنا ذهبنا للساحل فاشترينا بالسيئيلات Ceitils - وهى عملات نحاسية صغيرة كنا قد جلبناها معنا من البرتغال - عددا من القواقع (أو الأصداف أو المحارات) التى يعلقونها فى آذانهم والتى بدت وكأنها قد غطيت بالفضة ، وذبول الثعالب التى ثبتوها فى عصى والتى كانوا يحملونها معهم ويستخدمونها كمراوح (للتهوية بها على وجوههم) ، وفى هذه المناسبة اشتريت بسيئيل واحد Ceitil قطعة القماش (أو القراب) الذى كان أحدهم يغطى به عورته . وقد عرفنا من خلال هذه التعاملات أنهم يقدررون النحاس ويعرفون قيمته ، بل انهم كانوا يضعون خرزات نحاسية صغيرة فى آذانهم .

وفى اليوم نفسه أبدى شخص اسمه فرناو فيلوسو Fernao Veloso كان مرافقا للقائد العام - رغبة شديدة

فى الذهاب مع هؤلاء الناس الى منازلهم ليعرف أسلوب حياتهم وماذا ياكلون وما الى ذلك ، وتوسل فرناو الى القائد العام ان يأذن له فى ذلك ، ورأى القائد العام انه لن يستطيع التخلص من الحاحه ، فسمح له وعدنا الى سفننا لتناول العشاء ، وذهب هو مع هؤلاء الزنوج negros . وبعد أن تركونا - مباشرة - اصطادوا ذئب بحر Sea Wolf

وذهبوا الى سفح تل فى مكان قاحل ، وشووه ، وقدموا بعضا منه بالإضافة لبعض جذور النباتات لفرناو Fernao الذى صحبهم ، وبعد انتهائهم من تناول طعامهم أخبروه انه يجب عليه أن يعود الى السفن ، فلم يكونوا راغبين فى أن يصحبهم . ولما أصبح هذا المدعو فرناو فى مواجهة السفن بدأ يصيح بينما ظل الرجال (السود) مختبئين فى الأدغال . لقد كنا مازلنا نتناول عشاءنا ، لكن بمجرد أن سمعنا الصيحة ، هب القباطنة تاركين الطعام وهبنا معهم ، وألقينا بأنفسنا فى قارب ابحار ، وبدأ الزنوج يجرون على طول الساحل واقتربوا - كاقترابنا - من المدعو فرناو فيلوسو ، وبينما كنا نبذل قصارى جهدنا لوضعه فى القارب ، راحوا يهاجموننا برماح يحملونها معهم ، فخرجوا القائد العام وأربعة رجال أو خمسة منا . وكل هذا لأننا وثقنا بهم ، وقد ظهروا لنا غير شجعان بما فيه الكفاية لذا فقد نزلنا للساحل غير آبهين بهذه الأسلحة التافهة ثم عدنا لسفننا .

السبت ١٨ نوفمبر ورؤية رأس الرجاء الصالح :

وقد أبحرنا بسفننا مغادرين هذا البر بعد أن أصبحت سفننا جاهزة للإقلاع وبعد أن جمعنا خشبا للوقود ، وكان إقلاعنا فى صباح يوم الخميس الموافق للسادس عشر من شهر نوفمبر . ولم نكن نعرف المسافة الباقية لنا لنصل لرأس الرجاء الصالح إلا أن يرودى التكوير Pero de Alenquer ذكر أننا - فى الغالب - على بعد ثلاثين فرسخا منه . والسبب فى أن يرو لم يكن متأكدا من المسافة بيننا وبين

الراس انه كان قد غادر راس الرجاء الصالح ذات صباح ومر دون انتباه ليلا ، لذا فلم يكن قادرا على تحديد الموضع الذى نحن فيه (٣٥) . ولهذا السبب فاننا غيرنا اتجاهنا صوب البحر (المحيط) فى اتجاه جنوب الجنوب الشرقى ، وبعد ظهيرة يوم السبت وقعت ابصارنا على رأس الرجاء الصالح . وفى هذا اليوم نفسه أبحرنا مبتعدين عن ساحل الرأس وفى الليل اتجهنا للساحل . وفى صباح السبت الموافق ١٩ نوفمبر ابتعدنا مرة أخرى عن ساحل الرأس ولكننا لم نكن قادرين على الدوران حوله لأن الرياح كانت جنوب الجنوب الشرقى ، بينما كان الرأس يقع الى الشمال الشرقى والى الشمال الغربى وفى اليوم نفسه استدرنا وغيرنا اتجاهنا للبحر (للمحيط) وفى يوم الأحد ليلا غيرنا اتجاهنا فى اتجاه البر . وفى منتصف نهار يوم الأربعاء استطعنا المرور وتجاوز الرأس وأبحرنا بطول الساحل وعلى طول رأس الرجاء الصالح هذا ، ناحية الجنوب يوجد خليج عظيم جدا يتغلغل فى البر مالا يقل عن ستة فراسخ ، ويبلغ عرض فتحته من ناحية البحر مالا يقل عن ستة فراسخ .

السبت ٢٥ نوفمبر ودخول خليج ساوبراس : Sao Bras

وفى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، وهو يوم السبت - يوم القديسة كاترين St Catherine دخلنا - بعد الظهر - خليج ساو براس (خليج موسل Mossel Bay) فآلقينا مراسينا لثلاثة عشر يوما ، لأننا قد فككتنا السفينة التى كانت تحمل المؤن ونقلنا المؤن الى سفن أخرى .

الجمعة ٢٦ نوفمبر :

وفى هذا اليوم بينما كنا لازلنا نلقى مراسينا فى الخليج أنف الذكر وصل حوالى ثلاثين شخصا كانت ألوانهم داكنة كألوان أولئك الذين رأيناهم فى مسانت هيلانة ، وكان بعضهم يقترب ناحية الساحل ، بينمابقى الآخرون فى لتلال ، وفى هذا الوقت كنا جميعا - أو معظمنا - فى

سفينة القائد العام ، ولما رأيناهم ذهبنا للساحل بالقوارب ،
التي سلحناها جيدا • ولما اقتربنا من الساحل نشر القائد
العام أجراسا صغيرة - على البير - لهم ، الا أنهم اقتربوا
ليأخذوا بعضا منها من يدى القائد العام ، وقد اعترتنا
الدهشة الشديدة لأنه عندما كان بارثولومو دياز Bartolomeu
Dias هنا نفروا منه ولم يأخذوا أى شئ قدمه لهم ،
لكن ذات يوم بينما كانوا ينهلون الماع من مورد ماء طيب
عند حافة البحر ، قاموا بالدفاع عن المورد بقذف الحجارة
من قمة التل الذى يعلو موضع هذا الماء ، فقام بارثولومو
دياز باطلاق سهم نارى Cross-bow عليهم فأردى أحدهم قتيلا •
ونظن أنهم لم يهربوا منا لأنهم فيما يبدو قد سمعوا عنا
أخبارا من السكان القاطنين عند خليج سانت هيلانة (فقد
سبق أن مررنا عليه) الذى يبعد عن الرأس من طريق البحر
بحوالى ستين فرسغا ، ومؤدى هذه الأخبار أننا آناس غير
شريرين بل ونبعثر ممتلكاتنا ونقدمها لغيرنا • ولم يرغب
القائد العام فى الذهاب للساحل فى هذه المنطقة لكثافة
الغايات التى يوجد بها هؤلاء السود (الزنوج) لذا ، فقد
تحرك بالسفن ورسا بها فى منطقة مكشوفة وأعطينا هؤلاء
السود (الزنوج) اشارات مؤداها أن يتبعونا ، وقد فعلوا ،
ونزل القائد العام الى الساحل ومعه القباطنة الآخرون
وصحبهم رجال منا مسلحون ، كان بعضهم يحمل قوسا
ونشابا Crossbow وقد أمر القائد العام هؤلاء السود - عن
طريق الاشارة - بالابتعاد ، وألا يقترب منهم الا رجل أو
رجلان ، فقدم القائد لمن سمح لهم بالاقتراب أجراسا وأغطية
رأس حمرة فقدموا لنا أطواقا من العاج كانوا يطوقون بها
أذرعهم فاستنتجنا أن المنطقة غنية بالأفيال ، وقد رأينا
فيلا يهبط الى مورد الماء الذى يشربون منه •

السبت ٢٧ نوفمبر :

وفى يوم السبت وصل حوالى مائتين من الزنوج (السود) بينهم الضخام وضئيلو الجسم ، وقد احضروا معهم حوالى اثني عشر رأس ماشية (ثيران وأبقار) بالاضافة لأربعة رؤوس من الأغنام أو خمسة ، فلما رأينا ذلك ذهبنا جميعا الى الساحل ، وبدعوا فجأة يعزفون على أربع آلات نفخ أو خمس ، وكان بعضهم ينفخ نفخا قويا وآخرون ينفخون نفخا خفيفا ، ولم تكن نتوقع هذا الالتقاء الهارموني (المتناسق) منهم ، فأمرنا القائد العام بالنفخ فى أبواقنا ورقص من كان منا فى القوارب ، بل لقد رقص القائد العام عندما أصبح معنا . وبعد أن انتهينا من هذا المهرجان عدنا للساحل حيث كنا وأخذنا من هؤلاء السود ثورا أسود وأعطيناهم ثلاث حلقات (أساور) ، وتناولنا غداةنا من لحم هذا الثور يوم الأحد . لقد كان دسما جدا لذيذ المذاق كالحوم ثيران البرتغال .

رقص الأحد :

وفى يوم الأحد وصل عدد كبير من الرجال (السود) - كالأعداد التى وصلت يوم الأحد - وكانوا فى هذه المرة يصحبون زوجاتهم وأطفالهم لكنهم أبقوهم (الأطفال والزوجات) على قمة التل بالقرب من ساحل البحر وجلبوا معهم كثيرا من الثيران والأبقار ، وقد قسموا أنفسهم الى مجموعتين على طول الساحل وراحوا يعزفون ويرقصون بالطريقة نفسها التى حدثت يوم السبت . ومن عادة هؤلاء الناس أن يبقى الشباب منهم فى الأدغال حاملين السلاح ، وأن يأتى الرجال منهم للتعهد معنا حاملين معهم بعض العصى القصيرة وبعض ذيول الثعالب مثبتة فى أطراف عصى يهزون بها (لجلب الهواء لأنفسهم بتحريكها) وبينما كنا نتناقش معهم بالاشارات رأينا شبابهم يتحركون فى الأدغال

وهم ينحنون ليتواروا عن الانظار * وليختلسوا النظر وفد حملوا أسلحتهم * وقد امر القائد المدعو مارتيم أفونسو Martim Afonso الذى سبق له أن سافر الى المانيدونجو Manicongo ان يتقدم وأعطاه حلقتين (سوارين) لبيادلهما بهما تورا، وبعد أن أخذوا السوارين أمسكوا بيده وأشاروا الى نبع الماء وسألوا : لماذا تأخذ ماءهم ؟ وبدعوا يقودون ثيرانهم نحو الأدغال ؟ فلما رأى القائد العام ذلك أمرنا بالتجمع وأمر المدعو مارتيم أفونسو بالاحتماء فقد بدا له أنهم قد أضضروا الغدر * ولما تجمعنا ذهبنا الى حيث موقعنا الأول ، فتبعونا ، وأمرنا القائد العام بالذهاب للساحل محملين بالرماح العادية والرماح النحيلة الشبيهة برماحهم lances and assagais وأقواسنا ونشابنا Cross-bows وليسنا دروعنا * * وقد فعلنا كل ذلك لمجرد اظهار أننا أقوى من أن نلحق بهم الضرر واننا لا نرغب فى ايذائهم، ولما رأوا ذلك بدعوا يتجمعون معا ويفرون هنا وهناك ، وقد أمرنا القبطان بالعودة للقوارب حتى لا يتيح لنا قتل أى منهم ، وبعد أن تجمعنا معا لنجعلهم يفهمون أننا قادرون على ايذائهم لكننا غير راغبين فى ذلك ، أمر القائد باطلاق النار من المدفعين bombards الموجودين فى مؤخرة القارب * لقد جلسوا جميعا على الساحل قرب الأدغال ، لكنهم عندما سمعوا صوت اطلاق المدفعين بدعوا يفرون بسرعة مسجنونة داخل الأدغال حتى انهم تركوا خلفهم الجلود التى تغطيهم بل وتركوا أسلحتهم ، وبعد أن أمنا داخل الأدغال أرسلوا رجلين منهم لجمع ما خلفوه ثم صعدوا لقمة التل يقودون ماشيتهم أمامهم *

الثيران :

وثيران هذه المناطق سمينة جدا ، كثيران اليمتيجو Alemtogo ودهونها كثيرة بشكل مدهش ، وهى أليفة جدا ومخصية وبعضها ليس له قرون * ويعمد هؤلاء السود

(الزوج) الى أسمنها * فيضعون على ظهورها سرجا من قصب Reeds كتلك التى يستخدمها أهل قشتالة Castile ويشبتون فوقها بعض العصى ليمسكوا بها فيتمكنوا من الرسوخ فوق ظهورها عند الركوب * ويفرسون عصا Cistus Stick فى منخرى الثور تعينهم على قيادته *

ذئاب البحر :

توجد جزيرة صغيرة فى هذا الخليج ، فلما انطلقت ثلاثة أسهم فى اتجاه البحر ، امتلأت الجزيرة بذئاب البحر Sea Wolves (Seal island) بعضها ضخيم جدا كالدببة * لقد كان منظرها مرعبا بأنيابها الهائلة فأرهبت الرجال ، ولم تكن الرماح ولا غيرها بقادرة على جرحها ، وكان بعضها صغير الحجم ، وكان بعضها الآخر أصغر * وكانت الضخام منها تزار كالأسود والصغار منها تثغو كالماعز * وقد ذهبنا الى هذه الجزيرة يوما للترفيه فرأينا حوالى ثلاثة آلاف منها بين ضخيم وضئيل وأطلقنا عليها المدافع bombards من البحر * وكان فى الجزيرة طيور حجم الطائر منها فى حجم البطلة وهى لا تطير فليس فى أجنحتها ريش وتسمى Fofilcaios وقد قتلنا عددا كبيرا منها وهى تنهق كالحمير *

ونصبنا الصليب :

وبينما كنا فى خليج ساو براس Sao Bras هذا ، نسير فى اتجاه الماء ذات يوم أربعاء رفعنا الصليب والبдраو Padrao (٣٦) A cross and وجعلنا الصليب خارج الصارى المزينى Mizzenmast وهو الصارى الأقرب لمؤخرة السفينة فأصبح عاليها جدا ، وفى يوم الخميس التالى - لما كنا على وشك مغادرة الخليج - رأينا حوالى عشرة زنوج أو اثنى عشر زنجا يقذفون الصليب والبдраو Padrao قبل رحيلنا *

أنجيل عن خليج ساو براس :

وبعد أن تزودنا بكل ما هو ضروري غادرنا الخليج ،
وفى اليوم نفسه كان علينا أن نتوقف بعد أن قطعنا فرسخين
فقط بسبب هبوب الريح ، وفى يوم الجمعة صباحا وهو
يوم سيدتنا راعية الفهم والادراك Lady of Conception
(لعلها قديسة) (٣٧) نشرنا أشرعتنا وواصلنا الأبحار .

وفى يوم الثلاثاء التالى - يوم القديسة لوشيا Santa Lucia
تعرضنا لماء صفة هوجاء ودفعنا الريح دفعا
شديدا وأملت الشراع الأمامى بعنف . وفى صباح هذا
اليوم افتقدنا نيكولاو كولهو Nicolau Coelho لكننا رأينا
قمة سفينته عند مغرب الشمس على بعد أربعة فراسخ أو
خمسة الى الخلف منا ، ويدا لنا انه رآنا ، وقد أشعلنا نارا
كإشارة له ، (أعطينا له إشارات ضوئية) وأوقفنا سفينتنا ،
وبعد انتهاء الهزيع الأول من الليل أدركنا ، لا لأنه كان قد
رأنا أثناء النهار وانما لأن الريح كانت تهب فى عقدة
منشردة bowline فلم يكن يملك الا أن يترك سفينته
تنزلق (تندفع) فى اثرنا in our wake

جزر الطيور :

وفى يوم الجمعة صباحا رأينا البر الذى يطلق عليه
اسم الهاس شاوس Ilheus Chaos (الجزر المستوية أو جزر
الطيور) * وهذه الجزر خلف جزر كروز Ilhu de Cruz
(St Croix island) . بخمسة فراسخ * ومن خليج ساو براس
Sao Bras الى جزر

كروز ستون فرسخا ، والمسافة نفسها بين رأس الرجاء
الصالح وخليج ساو براس ، ومن جزر الطيور (Ilheus choos)
الى آخر بادراو Padrao . (شارة الصليب البرتغالية)
التي وضعها بارثولومو دياز Bartolomeu Dias (فى كوايهوك

(kwaaiohoek) يوجد خمسة فراسخ أخرى ، ومن البدر او
الى نهر السمك العظيم
Rio de Infante (Great Fish River)
خمس عشرة فرسخا .

المرور بأخر شارة صليب (بدر او) :

وفى يوم السبت التالى تجاوزنا آخر بدر او ، وبينما
كانت سفننا تهبط (تنحدر) بمقدار رجلين بدأت تجرى
على طول الساحل المواجه لنا . لقد كانت الأرض هنا جذاية
جدا وذات موقع رائع ورأينا كثيرا من القطعان تجول هنا ،
وكلما تقدمنا أبدت الأرض جمالا أكثر مما سبق أن أبدته
فرأينا أشجار الأدغال تصبح أعلى وأعلى .

ليلة الأحد ، وآخر منطقة اكتشفها دياز :

وفى الليلة التالية أوقفنا سفننا لأننا كنا قد ابتعدنا
كثيرا جدا عن منطقة نهر السمك Rio de Infante التى كانت
آخر بقعة يكتشفها بارثولومو دياز .

أشر التيارات المائية فى تقدمنا :

وفى اليوم التالى استمر ابحارنا على طول الساحل بفعل
الرياح التى تدفعنا من الخلف حتى قرع ناقوس صلوات
المساء ، فاتجهت الرياح الى الشرق فغيرنا اتجاه السفن الى
عرض البحر ، ومن ثم رحنا نتقدم تارة فى عرض البحر
وتارة أخرى بالقرب من الساحل حتى يوم الخميس قرب
مغرب الشمس ، الا أن الرياح غيرت اتجاهها مرة أخرى فهبت
الى الغرب ، ومن ثم فقد أوقفنا سفننا هذه الليلة على أمل أن
نستطلع البر نهارا ونعرف فى أية منطقة نحن ، فلما أشرق
الصباح توجهنا للبر الى البر ، وفى الساعة العاشرة وجدنا
أنفسنا أبعد عن جزيرة كروز Ilheu Cruz مما كنا نظن
بستين فرسخا . وكان هذا بفعل التيارات المائية التى كانت

شديدة جدا في هذه المنطقة * وفي هذا اليوم نفسه عدنا الى الطريق البحرى الذى كنا نبحر فيه بالفعل والرياح تدفعنا دفعا شديدا وقد استمرت هذه الرياح ثلاثة ايام أو اربعة مما مكنا من التغلب على التيارات المائية التى كنا نخشاها كثيرا مخافة ألا تمكننا من تحقيق الانجاز الذى نسعى لتحقيقه * وابتداء من هذا اليوم كان فضل الله علينا عظيما فرحنا نتقدم دوما فمضى أن تدوم علينا نعمته *

يوم الكرسماس (عيد الميلاد) ٢٥ ديسمبر :

وفى عيد الميلاد الموافق ٢٥ ديسمبر (١٤٩٧) اكتشفنا سبعين فرسخا من الساحل ، وبعد الغداء فى هذا اليوم بيننا كنا نثبت الشراع الخفيف وجدنا الدقل (الصارى) مكسورا من أسفل قمته بحوالى قامه (فازوم) وقد اتسع الكسر وقد أصلحناه مستخدمين الشكال الخلفى (الجبل الممتد من أعلى الصارى الى مؤخرة السفينة أو جانبها) ، وذلك بشكل مؤقت حتى نتمكن من اصلاحه اصلاحا تاما فى ميناء آمن * وفى يوم الخميس توقفنا عند الساحل وتزودنا بأسماك كثيرة وعند الغروب واصلنا الابحار * وهنا فقدنا مرسانا فقد قطع الجبل لذا فقد أبجرنا فى عرض البحر دون أن نلامس ميناء فقد أعوزنا ماء الشرب بشدة فكنا نطبخ بماء البحر المالح ولم يتبق معنا ماء للشرب الا كارتيلهو Quartilho ٢٣٨٧ .

الخميس ١٠ يناير (١٤٩٨) :

وفى يوم الخميس ١٠ يناير (الصبح ١١ يناير) رأينا نهرا صغيرا فتوقفنا بعيدا عن الساحل ، وفى اليوم التالى غادرنا السفن وركبنا القوارب للساحل ولاحظنا عددا كبيرا من الزنوج والزنوجيات ، ذوى أحجام ضخمة ، وزعيمهم بينهم ، فأمر القائد العام المدعو مارتيم أفونسو Martim Afonso الذى سبق له أن جال فى منطقة المانيكونجو Manicongo فترة طويلة جدا ، أن يذهب للساحل وأن

يصحب معه رجلا آخر ، فاستقبلهما أهل البلاد بكرم ، فأرسل القائد العام لزعيمهم سترة Jacket وسراويل حمراء وغطاء رأس وأساور ، فقال زعيمهم انه مستعد أن يزودنا بكل ما نريده من أرضه عن طيب خاطر ، وقد فهم المدعو مارتييم الفونسو كل ذلك . وقد ذهب مارتييم الفونسو والرجل الذى معه — هذه الليلة — مع زعيمهم ليناموا فى أحد منازل (منازل الزعيم الأفريقى) اما نحن فعدنا الى سفننا . وأثناء الطريق ارتدى الزعيم الأفريقى الملابس التى قدمها له القائد العام ، وقال لمن قدموا لاستقباله بسعادة ورضا : « انظروا ماذا أعطونى !! » فصفقوا بأيديهم بطريقة لا وقار فيها . لقد صفقوا ثلاث مرات أو أربع حتى وصلنا للقرية فراح الزعيم يجول فيها فرحا بلباسه الذى قدمه له القائد العام حتى دخل بيته .

وأمر الزعيم الأفريقى باستضافة الرجلين (البرتغاليين) فذهبا معه الى الكرال kraal (أو الزريبة) وأمر لهم يشريد الدخن (الذرة الرفيعة) الذى يوجد منه كثير فى هذه الأراضى ، ودجاجة تشبه دجاج البرتغال . وفى هذه الليلة قدم عند الزعيم الافريقى رجال ونساء كثيرون لرؤية الرجلين البرتغاليين . وفى الصباح ذهب الزعيم الافريقى لرؤيتهم وطلب منهما العودة وأعطاها دجاجة لتقديمة للقائد العام قائلا انه لايد أن يرى ما قدموه له . (من ملابس وأساور) للزعيم الكبير الذى يتبعونه — ويبدو أنه يقصد ملك هذه البلاد ، ولما وصل مارتييم الفونسو والرجل المصاحب له للميناء حيث كانت القوارب — كان حولهما مائتا شخص أفريقى أتوا لرؤيتهما .

أرض الناس الطيبين ونهر النحاس :

لقد بدت لنا هذه الأراضى مكتظة بالسكان وبها زعماء كثيرون ونساءها أكثر من رجالها فإذا أتى اليها عشرون

رجلا كانت تأتي إلينا أربعون امرأة • ومساكن هذه البلاد من القش ، اما اسلحتهم فأقواس ضخام جدا ، وسهام ، ورماح نحيلة assagais من حديد ، وبدا لنا ان في هذه الأراضي نحاسا وافرا فهم يضعون أطواقا من نحاس حول سوقهم واذرعهم وفي شعورهم المجددة بشدة • وفي هذه الأراضي يوجد أيضا القصدير الذي يستخدمونه في صناعة (أو طلاء) مقايض خناجرهم التي يتخذون لها قرايات (جرابيات أو أغماد) من عاج • ويقدر أهل هذه الأراضي الملابس الكتانية تقديرا شديدا فقد أعطونا كثيرا من النحاس مقابل ما نستطيع تقديمه من قمصان كتانية • ويحصل هؤلاء البشر يقطينات ضخمة (قرعا ضخما) يملأونها بمياه البحر المالحة ويصبرونها في حفرة في الأرض ويستخلصون منها الملح • لقد ظللنا خمسة أيام هنا نحصل على الماء الذي يحملونه لنا الى قواربنا ، لكننا لم نأخذ كل ما نريده من ماء فقد أصبحت الرياح مواتية لاستئناف الرحلة • وخلال مدة اقامتنا كنا قد رسونا في البحر بعيدا عن الساحل • وقد أطلقنا على هذه الأراضي اسم أرض الناس الطيبين Terra da Bao Gentle (the land of the good people) وأطلقنا على النهر اسم نهر النحاس The Rio de Cobre .

أرض القديس روفائيل ونهر بشار النهر :

وفي يوم الأحد وبينما كنا مستمرين في الابهار رأينا أرضا منخفضة جدا ، وبعض أشجارها مرتفعة جدا وكثيفة كشافة شديدة كما رأينا مصبا عريضا لنهر ، وقد توقفنا عن الابهار لأنه كان من الضروري أن نتحقق من الموضوع الذي نحن فيه • وذات خميس ليلا دخلنا حيث كانت السفينة برىو Berrio موجودة هناك بالفعل اذ كانت قد دخلت في اليوم السابق الذي كان بمثابة اليوم الثامن قبل نهاية شهر يناير • وأراضى هذه المنطقة منخفضة جدا ومليئة بالمستنقعات

وبها غابات كثيفة غاصة بالفاكهة من مختلف الأنواع يأكل منها الناس .

وأهل هذه المنطقة سود ويتمتعون بتكوين جسد طيب ويسيرون عراة تقريبا الا من قطعة قماش قطنى صغيرة يغطى الواحد منهم بها عورته . أما الزعماء فيضع الواحد منهم قطعة قماش أكبر حجما . وتبدو الشابات فى هذه المناطق ذوات منظر جميل ، وهن يثقبن شفاههن فى ثلاثة مواضع يزينها بقطع من القصدير اللولبية . وقد سعد هؤلاء الناس بلبقينا كثيرا وقد ركبوا قواربهم الشجرية وأحضروا لنا فى السفن ما لديهم من مؤن ، كما كنا نذهب لقريتهم لجلب الماء العذب .

وبعد أن مكثنا هناك يومين أو ثلاثة أتى زعيمان Chiefs من زعماء هذه الأراضى ليريانا ، وكانا متغطرسين للغاية لدرجة أنهما لم يعجبهما أى شئ مما قدمناه لهما . وكان أحد هذين الزعيمين يلبس غطاء رأس (كاب) ذا أهداب من حرير . وكان الزعيم الآخر يلبس غطاء رأس من ساتان أخضر (الساتان قماش حريرى صقيل) ، وكان بصحبتهما شاب كان قد قدم من منطقة أخرى بعيدة - كما فهمنا من إيماءاته وإشاراته - وفهمنا منه انه كان قد رأى سفنا كبيرة كسفننا ، وقد سعدنا كثيرا بأقواله هذه لأن معنى هذا أننا أصبحنا - الآن - على مقربة من الهدف الذى نزمع الوصول اليه (٣٩) . وقد أمر الزعيمان (الأفريقيان) أنفسنا الذكر بإقامة بعض الأكواخ من فروع الأشجار على طول شاطئ النهر المواجه للسفن ، وقد أقاما فى هذه الأكواخ زهاء سبعة أيام ، وفى كل يوم كانا يرسلان ليقاينا بما عندهما ليحصلنا على الأقمشة الحمراء ، وكانا كلما تعبنا من المسكوث فى هذه الأكواخ يركبان قواربهما الشجرية ليتنزها فى النهر . لقد مكثنا اثنين وثلاثين يوما عند هذا النهر تزودنا خلالها بالماء ونظفنا السفن وأصلحنا صارى السفينة

رافائيل Rafaci ، وهنا سقط كثير من رجالنا مرضى
فتورمت أقدامهم وأيديهم وتضخمت لثاهم فغطت أسنانهم
حتى أنهم لم يستطيعوا تناول الطعام (٤٠) * وقد وضعنا
هنا بادراو أطلقنا عليه اسم بادراو القديس رافائيل
Padrao of Sao Rafael نسبة للسفينة التي كانت تحمله (
(سفينة سانت رافائيل) أما النهر فقد أسموه نهر يشائر
الخيرات Rio dos Bons Sinais (المحرر : مصعب الزمببزي) *

السبت ٢٤ فبراير ١٤٩٨ :

لقد غادرنا أرض القديس روفائيل يوم السبت الموافق
٢٤ فبراير ١٤٩٨ فاتجهنا لعرض البحر ، وفي الليلة الثانية
لم نتخل عن الاتجاه الشرقي ، فابتعدنا عن الساحل الذي
كان يسعدنا النظر إليه ، وفي يوم الأحد اتخذنا اتجاهها شماليا
شرقيا ولما دق ناقوس صلاة المساء رأينا ثلاث جزر صغيرة ،
اثنان منهما ذواتا غابات كثيفة [المقصود جزيرة كازورينا
وجزيرة ابيدندرون Casuarina and Epidendron (٤١)
أما الجزيرة الثالثة [جزيرة كرون Crown Is. (٤٢)
فجرداء كما أنها أصغر من الجزيرتين الأخريين ، وبين كل
جزيرة وأخرى أربعة فراسخ * وقد توقفنا في عرض البحر
(المحيط) لأننا مررنا بهذه الجزر ليلا ، وفي اليوم التالي
استمررنا في الابحار طوال ستة أيام وكنا نتوقف ليلا *
وفي يوم الخميس أول مارس رأينا بعد الظهيرة جزرا ،
ولأننا كنا في الليل فقد غرنا اتجاهنا للشرق وتوقفنا حتى
الصباح ..

الجمعة ٢ مارس ١٤٩٨ :

وفي صباح الجمعة دخل نيقولاو كولهو Nicolau Coelho
خليج هذه الجزر وأخطأ الممر (القناة Channel) ووجد مياها

ضحلة ، وبينما كان يغير اتجاه السفينة نحو السفن الأخرى التي تتبعه رأى قوارب تقترب من ناحية المدينة الكائنة على تلك الجزيرة ، ويحيى من فيها - بسرور بالغ - قائدنا ألعام وأخيه ، وتركنا أنفسنا نتجه للشرق لأنه كان يتعين علينا أن نتوقف ، وكلما تقدمنا تبعونا وأشاروا لنا كى ننتظرهم ، أقبلت القوارب التي تتبعنا لقد كان عددها سبعة قوارب او ثمانية من بينها قوارب شجرية (جدوع شجر محفورة لتصبح قارباً) ، فنفخ رجالها فى أبواق معهم وأشاروا لنا بأن نتبعهم ليرشدونا للطريق ان كنا راغبين فى الوصول للميناء . وقد دخلوا سفننا وأكلوا مما أكلناه وشربوا مما شربناه ، وغادروا بعد أن شبعوا . وقد قرر القباطنة دخول هذا الخليج لمعرفة أحوال التجارة عند هؤلاء الناس ، وكان على نيقولاو كولهو Nicolau Celho أن يذهب أولاً بسفينته ليسير أغوار البحر . لمعرفة ما اذا كان يمكننا الدخول ، ولما اقترب نيقولاو من المدخل اصطدم وكسر الدفة فعاد للمياه العميقة ، وقد كنت معه ، فأملنا أشرعتنا وألقينا مراسينا على مرمى سهمين من المدينة .

انهم مسلمون :

وأهل هذه الجزر متوردو الوجنات ، حسنو الخلقة . انهم مسلمون ويتحدثون كالمسلمين (المقصود هنا كالمغاربية like Moors) وملايسهم من كتمان رقيق جدا ومن قطن وبها خطوط كثيرة ملونة . انها ملايس فاخرة ومشغولة ، ويلبسون جميعا فوق رءوسهم أغطية رأس من حرير محلاة بخيوط ذهبية . وهم تجار وهم يتاجرون مع المسلمين البيض White moors الذين كانت أربع من سفنهم راسية هنا حاملة الذهب والفضة والملابس والقرنفل والفلفل والزنجبيل وحلقات (أطواق) فضية محلاة بكثير من اللآلئ والبواقيت وغيرها ، فأهل هذه البلاد يستخدمون كل هذه البضائع ، وقد فهمنا مما قالوه أن هذه البضائع يجلبها

المسلمون الى هنا فيما عدا الذهب ، وأن هذه البضائع متوفرة في البلاد التي نقصدها وأن الأحبار الكريمة والدلاء والبهارات موجودة في هذه البلاد التي نقصدها من رحلتنا - بكميات كبيرة لدرجة انهم لا يتاجرون فيها بل انهم - ببساطة - يملأون منها السلال لفرط توفرها . لقد فهم البحار كل ذلك ، وكان القائد العام قد حمل هذا البحار معه . وكان أسيرا من المسلمين ، ولهذا السبب فقد فهم ما قاله أولئك البشر الذين قابلتناهم هنا ، وأكثر من هذا فقد قال المسلمون الذين قابلتناهم في طريقنا أننا سنواجه كثيرا من العقبات المائية Shaols وأننا سنجد مدنا كثيرة على طول الساحل وأننا سنجد جزيرة نصف سكانها مسلمون ونصفهم الآخر مسيحيون لا يكفون عن شن الحرب ضد المسلمين ، وأن هذه الجزيرة غنية جدا .

برستر يوحنا :

وأكثر من هذا فقد أخبرونا أن برستر يوحنا Prestor John قريب من هناك وأن له موانئ كثيرة على الساحل ، وأن سكان هذه الجزيرة تجار أثرياء ولديهم سفن ضخمة ، ولكن برستر جون كان الى الداخل بمسافة بعيدة ولا يمكن الوصول الى برستر جون الا بركوب الجمال . وقد جلب هؤلاء المسلمون الى هنا عبيدين مسيحيين هنديين لقد أخبرنا هؤلاء المسلمون بكل ذلك وأكثر ، مما جعلنا في الغاية من السعادة فرحنا نصيح صيحات البهجة ودعونا الرب أن يهبنا الصحة حتى نرى ما نرغب فيه جميعا .

وفي هذا المكان وتلك الجزيرة المسماة موزمبيق Monca biquis (Mozambique) يوجد زعيم يطلق عليه لقب سلطان وهو يشبه نائب ملك ، وقد أتى المرة تلو الأخرى الى سفننا محاطا بحاشيته . وقد اعتاد القبطان أن يطعمه كثيرا جدا وأن يقدم له الهدايا من أغذية الرأس hats والمعاطف التي بها زوائد لتغطية الرأس (برانس) والقلائد

من المرجح أن • وكان متكبيرا جدا فكان يزدرى كل ما يقدم له ، وقد اعتاد أن يطلب اقمشة قرمزية ولم يكن معنا ما طلب فقدمنا له مما فى حوزتنا •

وذات يوم دعاه القائد العام ليشترك فى تناول كثير من التين والفاكهة المحلاة بالسكر ورجاه أن يزوده باثنين من المرشدين البحريين ليذهبوا معنا • وقد وافق على ذلك شريطة أن نكافئهما فقدم القائد العام لكل منهما ثلاثين متقالا miticals (؟) من الذهب ومعطفين ذوى زوائد لتغطية الرأس (برانس) بشرط انه ابتداء من اليوم الذى تلقيا فيه هذه المكافأة لا ينادران سفننا معا وانما ان غادر أحدهما تحتم على الآخر البقاء وقد رضيا تماما بهذا الشرط • وفى يوم السبت الموافق للعاشر من شهر مارس غادرنا ولكننا توقفنا فى عرض البحر على بعد فرسخ بالقرب من جزيرة لئرتل القداس يوم الأحد وليتمكن الراغبون فى الاعتراف من الاعتراف وتناول العشاء الربانى •

وقد بقى واحد من المرشدين أنفى الذكر فى الجزيرة ، وبعد توقفنا قمنا بتسليح قاربين استعدادا لاحتمال ذهابنا للبحث عنه ، وقد استقل القائد العام أحد القاربين واستقل نيقولاو كولهو Nicolau Coelho القارب الآخر ، وبينما اتخذ القاربان سبيلهما للبحث عن المرشد (الدليل) البحرى الآخر أقبلت خمسة قوارب أو ستة غاصسة بالبشر الذين يحملون أقواسا وسهاما طويلة وتروسا صغيرة وأومأوا للمرشدين أن يعودوا للمدينة • ولما رأى القائد العام ذلك حاصر المرشد (الدليل) الذى كان يركب معه فى القارب نفسه وأمر بإطلاق المدافع على أولئك الذين يقتربون من قواربنا • أما باولو داجاما Paulo da Gama الذى كان قد بقى مع السفن ليكون قادرا على فعل ما يمكنه عمله ، فإنه بمجرد سماع صوت إطلاق المدافع قام برفع أشرعة

السفينة برىو Berrio . سان المسلمون قد فروا بالفحص
عند سماع صوت المدافع ، وزاد قرارهم عندما راوا
السفينة برىو ترفع أشرعتها ، ولجأوا للبر قبل أن تلحق
بهم ، وعدنا الى مرسانا - وفى يوم الأحد تلونا قداسنا على
البر فى ظلال أشجار بستان باسقة ، وبعد انتهينا من
القداس عدنا لسفنتنا وواصلنا الابحار - وكان معنا كثير من
الدجاج والماعز والحمام حصلنا عليه من هذه البلاد مقابل
قليل من الخرزات الزجاجية الصفراء .

وسفن هذه الأنحاء ضخمة لكنها بلا سطح (ظهر) وهى
بدون مسامر وانما مربطة بالجبال ، وينطبق هذا أيضا
على قواربهم ، أما أشرعتهم فمخ حصير من سعف النخيل
palm-matting ، ولدى بحارتهم ابر مغناطيسية جنوبية
جنوية يوجهون بها سفنهم ، ولديهم ربعيات Quadrants
وخرائط بحرية .

النخيل :

ونخيل هذه الأنحاء (موزمبيق) تثمر فاكهة فى حجم
البطيخ وهم يأكلون لب الثمر ، (ما هو موجود بداخلها) ،
والثمرة تميل للصفرة ومذاقها كالبندق hazel-nut . ويتوفر
الخيار والبطيخ وقد باعونا كميات منهما .

ترحيب بالبرتغاليين فى موزمبيق فلنا أنهم أتراك :

وفى اليوم الذى دخل فيه نيقولاو كولهو Coelho
أقبل زعيم هذه الأنحاء الى السفينة وبصحبته خلق كثير
فاستضافه وأحسن استقباله وقدم له معطفا أحمر ، فقدم له
الزعيم مسباحا أسود الحبات كان يضعه حول عنقه دليل
المحبة والمودة وطلب من نيقولاو كولهو قاربا ليعود به فأعطاه
له وبعد أن رسا بالقارب أخذ من كان معه الى منزله وطلب

منهم الإقامة عنده (لكنه بعد ذلك أمرهم بالعودة) وأرسل إلى نيقولاو كولهو « برشا » من المجوة المخلوطة بالقرنفل وبنور الكمون (؟) Cummin seeds وأرسل بعد ذلك لقائدنا العام كثيرا من الهدايا - لقد فعلوا هذا وهم يظنوننا - طوال الوقت - أترأى أو مسلمين من بعض أنحاء العالم ، وقد عرفنا ذلك لأنهم اعتادوا سؤالنا عما إذا كنا قد قدمنا من تركيا وطلبوا منا أن نريهم سهامنا وكتب الشريعة ، ويبدو أن علموا أننا مسيحيون أصدروا الأوامر بمحاصرنا وقتلنا غدرا لكن دليلهم (مرشدهم) المسلم الذى كنا نحمله معنا كشف لنا ما يدبرونه ضدنا (٤٤) .

دليل بحرى مسلم آخر يركب معنا :

وفى يوم الثلاثاء رأينا أرضا تشمخ فوقها تلال عالية خلف رأس (لسان ممتد) وكان فى هذا اللسان غوطة من أشجار متناثرة ولكنها عالية جدا وبدت على الساحل كأشجار الدردار elms ، وقد تبعد هذه الأرضى عن المكان الذى غادرناه أكثر من عشرين فرسخا ، وطوال الثلاثاء والأربعاء عمدنا للابحار بهدوء وفى الليلة التالية اتجهنا لعرض البحر (المحيط) وكانت رياح شرقية خفيفة تهب علينا ولما طلع الفجر وجدنا أننا خلف موزمبيق بأربعة فراسخ . وفى هذا اليوم ظللنا نبحر حتى بعد الظهر وبعدنا عمدنا إلى الراحة بالقرب من الجزيرة التى سبق لنا أن أقمنا فيها قداس الأحد قبل ذلك ، وظللنا فى هذا المكان طوال ثمانية أيام ننتظر الريح المواتية ، وفى منتصف هذه المدة أرسل لنا ملك موزمبيق ليخبرنا أنه يريد أن يعقد سلاما معنا وأن نصبح نحن وهو أصدقاء . وكان رسوله لعقد هذا السلام رجلا مسلما أبيض وكان من الأشراف (شريفًا Shareef) وكان سكيراً من الطراز الأول . وبينما كنا هنا أتى لنا رجل مسلم ومعه ابنه وركب فى إحدى سفننا وقال أنه يرغب أن يذهب معنا ،

ما دمنّا سنذهب قريبا من مكة (المكرمة) فهو قد أتى من هذه
الانحاء (القرية من مكة) الى موزمبيق كدليل بحرى
(مرشد) لاحدى السفن • ولأن الرياح لم تكن مواتية لنا ،
فقد كان من الضرورى أن ندخل ميناء موزمبيق للتزود
بالمياه ، وكان مورد الماء داخل البر وأهل الجزيرة يشربون
منه فليس لديهم سواه ، الا الماء المالح •

وفى يوم الخميس دخلنا الميناء أنف الذكر ، ولما حل
الليل انزلنا القوارب وفى منتصف الليل ذهب القائد انمام
ونيقولاو كولهو وعدد منا للبحث عن الماء العذب ، واصطحبنا
معنا المرشد (الدليل) المسلم الذى كان أكثر اهتماما بتدبير
أمر فراره من مسألة تعريقنا بمورد الماء ، وبذل قصارى
جهده لتضليلنا عن موضع هذا المورد • لقد رحنا نجول فى
المكان حتى أوشك الصباح فعدنا لسفننا ، وبعد الظهر عدنا
مرة أخرى وبصحبتنا المرشد نفسه ولما أصبحنا بالقرب من
مورد الماء ظهر عشرون من أهل البلاد على الساحل وراحوا
يناوشوننا بالرماح النخيلة التى يحملونها بأيديهم ، وبدا لنا
انهم قدموا ليدافعوا عن مورد الماء ، فأمر القائد العام
باطلاق ثلاثة مدافع ليعطينا فسحة من الوقت للوصول للساحل،
وحالما نزلنا من القوارب اختبأوا فى الأدغال فأخذنا ماء
كثيرا وفقا لرغبتنا ، وعندما عدنا لسفننا كانت الشمس
قد جنت للمغرب ، فوجدنا أن زنجى المرشد (الدليل)
جوادى كويمبرا Joao de Coimbra قد هرب •

السبت ٢٤ مارس ١٤٩٨ :

وفى صباح يوم السبت ٢٤ مارس عشية يوم مريم
العذراء the day of our lady أتى أحد المسلمين الى سفننا ليقول
لنا ان كنا نرغب فى الحصول على الماء فان علينا أن نذهب
للحصول عليه وترك لدينا انطبعا أن هناك شيئا ما عند الماء
سيضطرنا للرجوع • ولما سمع القائد العام ذلك ، أصر

- حالا - على أن نذهب الى مورد الماء لنظهر لهم أننا يمكننا أن نلحق الضرر بهم ان أردنا ذلك . وعلى هذا فقد ذهبنا فجأة للقرية وقواربنا مسلحة . لقد كان المسلمون قد طوقوا المكان بسياج محكم وأوتاد كثيرة حتى أننا لم نكن نستطيع رؤية ما وراءه ، وتحركوا الى حافة الساحل مسلحين برماح نحيلة وتروس صغيرة وسيوف قصيرة وأقواس ومقاليع لقتل الحجارة علينا ، لكن مدافعنا أقنعتهم أن يخلوا الساحل وأن يتحصنوا وراء الأسيجة والمتاريس التي أقاموها ، لكن هذه الأسيجة والحصون كان ضررها بالنسبة لهم أكثر من نفعها . لقد انشغلنا بهم حوالى ثلاث ساعات ، ورأينا رجلين منهم سقطا صريمين ، أحدهما سقط على الساحل والآخر خلف السياج ، وبعد أن تعبنا عدنا لسفننا لتناول غدائنا ، وقد بدعوا فى الهروب - فجأة - وحملوا أمتعتهم فى قوارب شجرية واستقلوها لننقلهم لقرية فى الجانب الآخر . وبعد أن أكلنا ذهبنا بالقوارب لنقبض على بعض منهم لنبادلهم بالهنديين المسيحيين اللذين سبق لهما أن أسرا ، والزنجى الذى هرب منا . ولتحقيق هذا الهدف تتبعنا قارب الشريف الذى كان محملا بالبضائع وقاربا آخر كان به أربعة زنوج . وقد استولى باولو دا جاما على هذا القارب الأخير ، أما القارب الآخر المحمل بالبضائع فقد غادره بمجرد وصولهم للساحل وتركوه هناك . . . وقد استولينا عليه وأسرنا الزنوج اللذين وجدناهم على الساحل وحملناهم الى سفننا ، وقد وجدنا فى قواربهم Canoes كثيرا من الأقمشة القطنية الرقيقة وسلالا وجرارا فخارية مليئة بالزبد وقوارير زجاجية مليئة بالماء وكتب فى الشريعة الاسلامية وشللا (بضم الشين) من الخيوط كثيرة وشياكا من القطن أيضا وسلالا كبيرة مليئة بالدخن (بضم الدال وتشديدها) . وقد أعطى القائد العام كل ما حصلنا عليه للبحارة الذين استولوا عليها والذين كانوا برفقته وكذلك للقباطنة الآخرين - وذلك فيما عدا الكتب التى احتفظ بها ليعطى عليها الملك . وفى يوم الأحد التالى ذهبنا

لنتزود بالماء . وفى يوم الاثنين ذهبنا فى مواجهة المدينة
بقارب مسلح ، وتحدث اليينا المسلحون من خلف مساكنهم
لأنهم لم يجسروا على القدوم للساحل ، وبعد أن أطلقنا
المدافع عليهم عدنا الى سفننا . وفى يوم الثلاثاء غادرنا
مارين أمام المدينة ثم توقفنا للراحة بالقرب من جزر
ساو جورج Sao Jorge منتظرين أن يهبنا الله ريحا
مواتية ، وفى يوم الخميس الموافق لليوم التاسع والعشرين
من الشهر آنف الذكر غادرنا هذه الجزر .

الى هنا توقف النص المترجم للانجليزية الذى بين أيدينا
لكن المؤكد أن للرحلات بقية .

من تقرير

رحلة القس دوز ساننوس

عن سوقالا ومناطق مصب الزمبيزي
وعن مملكة المونوماطابا

عن قلعة سوفالا

تقع قلعة سوفالا Sifala عند خط المرض ٢٠°٣٠' جنوبا عند سواحل شرق أفريقيا Ethiopia Eastern
وهي قريبة من ساحل المحيط ، وعلى بعد فرسخ -
أو أكثر قليلا أو أقرب قليلا - يصب نهر يأتي من اراض
مرتفعة ويجرى مئات الفراسخ في منطقة تسمى موكارانجوا
Mocarangua ويمر بمدينة زيمباو Zimbaoe التي يتخذها ملك
ملك الملوك (الكويتيف Quiteve) مقرا له ، وهو حاكم كل
هذه الأنحاء وكل المنطقة حول نهر سوفالا Sofala ، يوجد داخل
قلعة سوفالا كنيسة يتبعها ستمائة عضو * ويعمل سكان
سوفالا - عادة - في مجال التجارة *

ويتاجر البرتغاليون مع مانيسا Manica في المناطق
الواقعة أعلى النهر ، وهي مناطق يتوفر بها ذهب كثير ،
وتبعد ماسينا ستين فرسخا الى الداخل في المناطق المرتفعة *
ويوجد داخل قلعة سوفالا كنيسة يبلغ عدد المنتمين اليها
ستمائة ، ويعمل السكان عادة بالتجارة ، وبعض هذه
التجارة مع مانيسا حيث يحصلون على الذهب بمبادلة
بالأقمشة والخرز ، وبعضها الآخر مع تجار السفن Captayne
وبين السكان في سوفالا وما حولها ، وثمة تجارة أخرى مع
أهل نهر سايب Sabia وجزر بوسيكاس Ils das Bocicas وغيرها
من التجمعات السكانية القريبة من الأنهار ، حيث يحصلون
منهم على العاج والبهارات والحبوب ، والعبيد - بأعدان
واقرة * ويوجد سكان آخرون من المسلمين على بعد مرمى

كاليفرين Two Caliver Shot من القلعة • وهم فقراء وبؤساء ويعيشون على خدمة البرتغاليين • وتقوم النساء هنا بأعمال الزراعة وتربية الدواجن ، وكذلك تفعل النسوة المسلمات • ويقدم السكان العشر Tithe للكنيسة الدومينيكانية • لقد بنى هذه القلعة بيرو دا نهايا Pero da Nhaya سنة (٩) ١٥٠ بموافقة الزعيم المسلم المحلي كيت زوفى Kit Zufe وهو رجل أعمى العينين ، كما أنه أعمى البصيرة سياسة ودينا وفهما ، فقد دم موخرا جداً وادرك بعد فوات الاوان خطورة سماحة بهذا ، فقد عاد من سمح لهم اليه فقتلوه • وفى الأزمنة القديمة كان هناك ملوك مجانيين صغار — على شاكلة الزعيم المسلم آنف الذكر — على الساحل ، ولم يبق من هؤلاء الملوك الصغار الا عدد قليل لأن القباطنة البرتغاليين حلوا محلهم فى التعامل مع الزعيم الكبير (ملك الملوك) Quiteve King فى هذه الأنحاء •

فاكهة سوفالا وما حولها :

وفى منطقة سوفالا فاكهة كثيرة ، فأشجار الرمان مثمرة طوال العام ، حيث يكون بعض الرمان أخضر ، وبعضه الآخر ناضجاً وبعضه مزهراً ، وهناك أيضاً أشجار التين التى تثمر تينا أسود طوال العام، وهو تين فى الغاية من الامتياز • أما البرتقال والليمون والعنب فتثمر مرتين فى العام : فى ينساير ويوليية ، أما ثمار الأناناس والتين الهندى indian figs (٤٦) (ولشجرة التين الهندى فروع تحمل هذا النوع من التين الذى تبلغ ثمرته حجم الخيار) فيصبح لونها أصفر اذا نضجت ، وهى حلوة المذاق ، وفى بعض الأحيان يرى المرء سبعين تينة هندية من هذا النوع على هيئة عنقود كعنقود العنب ، وقلما يستطيع رجل أن يحمل مثل هذا العنقود من فوق الأرض لغرط ثقله •

وتمتد الأراضى التى ينمو فيها قصب السكر امتدادا هائلا على طول نهر سوفالا ، يعمل بها الكافير Cafres لا لاستخراج السكر (فهم لا يستطيعون ذلك لنقص فى مقدرتهم على الابداع) ، وانما هم يأكلونه ، ويشكل قصب السكر أهم مصدر من مصادر عيشهم .

وفى هذه الأنحاء أشجار جوز هند (٤٧) بأعداد كبيرة تنتج مالا يحصى من ثمار جوز الهند والعصير (العصير المستخرج من هذه التمار) • ولديهم كميات هائلة من الجنييا Guinea والقمح والأرز وكثير من الانهام Inames (وهو نبات ذو جذر ضخمة جدا ، وأوراقه عريضة ، ومذاق جذوره افضل من البطاطس) ، وعندهم ابو فرورة Fitches (★) (٩) وكثير من الحبوب القطنية (٤٨) المختلفة أنواعها •

وينمو الياسمين فى الحقول والغابات ، وكذلك المانجريكون Mangericones (وهو نبات حلو المذاق جدا) ، ويستخرجون الزيت من الجرجليم Gergelim (٩) فيدقونه بمصى طويلة جدا يصل طولها الى وسط الواحد منهم ثم يصفون الزيت المستخرج ، ويأكلون العلف المتبقى بعد استخراج الزيت — بدلا من الزبد • والدجاج هنا لا حصر له وكذلك الخراف ، كما يوجد هنا كثير من الخنازير والماعز والكين Kine (٩) والحيوانات المتوحشة والأيائل والخنازير الوحشية Wild Swines وتباع الدجاجات العشر بتستونين twa testons وفى المناطق الداخلية تباع الست عشرة دجاجة بالسعر نفسه • نفسه • وزيت جوز الهند أنقى من زيت الزيتون • وفى المناطق القريبة من مانيسا Manica تنمو أشجار صغيرة على قمم التلال وبين الصخور وتظل جافة معظم السنة دون أوراق

(★) لم نثر على المقابل العربى فى المعاجم المتوفرة لدينا وما اوردناه فى المتن مجرد اجتهاد — (المترجم) •

لكنها تستعيد نضارتها اذا قطع أحد فرعا منها ووضع في الماء ، ففي غضون عشر ساعات تنبت أوراقه الخضراء ، فاذا ما تم سحبه من الماء فانه سرعان ما يتزعزع بالسرعة نفسها التي جف بها * ويقول الكافير Cafres (٤٩) ان فروع هذه الاشجار حتى لو قطعت منذ عشر سنين ، فانها بمجرد وضعها في الماء تخضر وتنمو أوراقها * وشرب الماء الذي نضعت فيه هذه الأعشاب يمنع نزف الدم * ويسمى الكافير هذا الشجر منجودوا Mungodao * وثمة نوع آخر من الأشجار يسمونه ماتوى Matuui والكلمة تعنى براز الانسان ، وله رائحة لا تطاق ، ويوجد هذا الشجر في الهند أيضا ، وتشبه شجرة الماتوى هذه شجرة الشوك * ويؤولون ان فيه علاجا للذبول أو جفاف الجلد Ayre or Blastings (٥٤) ، فان بعض الاشخاص - خاصة الأطفال - يجعلون منه عقودا كعقود الخرز يلبسونها ويربطونها حول أذرعهم ملازمة للجلد مباشرة ، وعلى طول نهر سوفالا ينمو - في موضعين - برتقال وليمون ، وهم يجمعونه ويحملون به القوارب ويبيعونه بثمان بخس لا يذكر لسكان القلعة الذين يملأون البراميل والأواني بعصيرهما ، وهم يملحون هذا الليمون (يخللونه) ويصدرونه للهند فيشتريه الهنود الذين يحبونه جدا فيأكلونه مع الأرز * والخبز في سوفالا من خليط القمح والأرز ويصنعون الكعك الذي يسمونه موكات Mocates وهو محتمل عندما يكون ساخنا ، أما ان كان باردا فان مذاقه يكون سيئا * وعادة ما يشرب البرتغاليون نبيذ جوز الهند palme-wine ، أما نبيذ الكافير فيصنعونه من الذرة Mays ويجعلونه قويا مسكرا جدا *

عن ملك ملوك منطقة سوشالا
وعن عادات غريبة في هذه الأنحاء
وعن البلاط والمحاكم والمدن والقرى *

الكويتيفما يتزوج بناته وأخواته :

ملك هذه الانحاء مقلغل الشعر ، وهو وثنى لا يعبد شيئاً وليس لديه أية فكرة عن الله او الرب God بل انه يعتبر نفسه انه المنطقية التي يحكمها لذا فهو يحظى بالوقير والتبجيل من أتباعه الذين أقطعهم نظير تقديم خدمات عسكرية Vassals ويطلق على ملك الملوك هذا اسم كويتيف Quiteve وهو ليس اسما شخصيا له أو اسما مقصورا عليه ولكنه لقب ملكي atitle royall ، وهو يحمل هذا اللقب الملكي بمجرد توليه الملك * ويقتنى الكويتيف (ملك الملوك) أكسر من مائة امرأة (زوجة) يحتفظ بهن في دوره ، ومن بين هذا العدد من النساء ، توجد زوجة واحدة أو زوجتان تحملان ألقاب الأميرات أو تعتبران أميرات ، أما الأخريات فبمثابة محظيات Concubines وكثيرات منهن عماته وخالاته وبنات عماته أو أخواله أو خالاته وأخواته وبناته ، وهو يضاجعهن جميعا بزعم أن ذلك يجعلهم جديرين بوراثة الملك بالاحتفاظ بنقاء دماهم وصونها من أن تختلط بدماء الآخرين *

عندما يموت الكويتيف :

واذا مات الكويتيف (ملك الملوك) لابد أن تمسوت زوجاته الأساسيات (اللائي يحملن ألقاب الامارة) معه حتى

تؤدين له ما يريد من خدمات فى العالم الآخر ، لذا فبمجرد موته تتناول الزوجات الاميرات السم الذى يطلقون عيسه ابوحاس Lucasse . ويرث ملك الملوك الجديد ما خلفه ملك الملوك (انكوييتيف) المتوفى من نساء ، فلا احد يضمنه ان يتزوج اخت الكوييتيف المتوفى أو ابنته سوى الكوييتيف الجديد الذى هو غالبا واحد من الابناء الكبار للكوييتيف المتوفى من زوجاته الأساسيات . (الزوجات الاميرات) واذا لم يكن الابن الاكبر للكوييتيف المتوفى جديرا بالملك تولى الابن الذى يليه فاذا لم يكن له ولد آخر ورث أخوه الملك . وعادة ما يختار الكوييتيف وريثه أثناء حياته ويدربه على أمور الحكم . وبينما كنت أعيش فى هذه المناطق كان الملك الملوك - (الكوييتيف) ثلاثة أبناء ومع هذا فقد اختار أخاه ليرثه فى الملك لحكمته ، وقد وافق أبناؤه على هذا الاختيار .

تنصيب الكوييتيف الجديد :

وفى اليوم نفسه الذى يموت فيه الكوييتيف (ملك الملوك) يتم حمله الى التل هيدن حيث دهن الملوك السابقون ، وفى بدور اليوم التالى يذهب ملك الملوك الجديد الى منزل ملك الملوك السابق فتستقبله زوجاته ومحظياته ويدخل المنزل بموافقتهم وقبولهن ويجلس مع الزوجة الأساسية (الزوجة الأميرة) ملك الملوك السابق فى الصالة العامة (صالة الاستقبال) حيث كان من سبقه قد تعود الجلوس لسماع الدعاوى القضائية (شكاوى الرعية) وهو مكان مستور يستأثر أو منطى يقطع من قماش فلا يجوز أن يرى أحد ملك الملوك كما لا يجوز لأحد أن يرى احداً من نساؤه وهى معه . ويقوم ملك الملوك الجديد بارسال موظفيه أو عساكره ليعلنوا فى المدائن والقرى اقامة المهرجانات احتفالاً بتنصيب ملك الملوك الجديد الذى شغل الآن المنزل الملكى لملك الملوك السابق ، وأصبح زوجاً لنساءه وخليلاً لمحظياته ، فيذهب كل أعيان البلاد ونبل المدن والقرى الى القصر

الملكي الذي يحفه الحرس بوقار - فيدخلون بعد استئذان الحرس الى الصالة الملكية حيث يوجد ملك الملوك ونسائه . انهم يدخلون جماعات جماعات ، ويتقدمون وهم يزحفون على الأرض وسط الصالة ثم يتحدثون لملك الملوك الجديد مقدمين له فروض الطاعة والولاء دون أن تقع أعينهم عليه . أو على نسائه . ويجيب الملك وهو فى خبائه (من وراء حجاب) ويوافق على خدماتهم (يثبتهم فى مناصبهم) ، وبعد ذلك تسحب الستائر ويريههم نفسه فيصفقون بأيديهم ثم يستديرون زاحفين على الأرض - كما دخلوا - ويعودون من حيث أتوا ، فتدخل مجموعة أخرى ويتكرر المشهد السابق ، وينقضى أغلب اليوم فى هذه الطقوس ، وتعم المهرجانات وتمزق الموسيقى ، ويرقص الناس فى مختلف انحاء المدينة . وفى اليوم التالى يرسل الملك جنوده واعوانه الى سائر انحاء المملكة ليعلموا للناس أن ملك الملوك سيعين ولى عهده ، وان على الجميع أن يأتوا الى البلاط الملكي ليروه وهو يكسر القوس . وفى بعض الأحيان يكون هناك متنافسون كثيرون وعندئذ يقوم الملك بقبول من ترشحه النساء للقصر الملكي ، فلا أحد يمكنه الدخول دون اذنهن ، ولا أحد يمكنه أن يكون ملكا دون رضاهن ، لذا يمدد كثيرون الى رشوة النساء أو ارضائهن بأية وسيلة أخرى لضمان وقوفهن الى جانبه .

السداندا يتناول السم ، والنساء يرشعن الملك الجديد :

وبالقرب من مملكة الكويتيف (ملك سوفالا) توجد مملكة أخرى لها قوانين وأعراف وعادات مشابهة ، ويحكم فيها حاكم يطلق عليه اسم السداندا Sedanda ، وفى بعض الأحيان تكون مملكة الكويتيف ومملكة السداندا مجرد مملكة واحدة . وبينما كنت فى سوفالا أصيب السداندا اصابة شديدة بالجذام ، فقام على الفور بتعيين ولى عهده ، وقتل نفسه بتناول السم ، فمن الأمور المعتادة هناك أن الملك اذا أحس بضعف فى بدنه أو أصيب بتشوه أو عاهة فانه يتناول

السم ، لكن على ولى المهدي أن يحظى بالقبول لدى نساء الملك ،
فاذا لم يستلطفه استدعين فى الليل - سرا - أميرا آخر
يكون قريبا الى قلوبهن فيقدمه ويجمعن حوله فى الصالة
الملكية ويوعزن بالاعلان للناس أنه كان وليا للمهدى وأصبح
ملكا . أما الآخر الذى لم يحفظ برضى نساء الملك المتوفى
فانه يهرب خوفا على حياته وقد يجمع أعوانا له ويدخل القصر
الملكى بالقوة . لكن هذا نادر الحدوث ، ومن الأمور الغريبة ،
فالملك الجديد هو من ترضى عنه نساء الملك الراحل ، أما
الآخر فليس له الا الهرب وما يكون له أن يرفع رأسه
بعد ذلك .

وقبل أن يحكم الملك الجديد يرسل لكل الزعماء
فى مملكته ليأتوا للبلاط ويروه وهو يكسر قوس الملوك .

قتل أهوان الملك السابق :

وفى هذا البلاط جرت عادة قتل بعض الزعماء أو
النبلاء Lords الذين ينال ائهم كانوا ضروريين لحكم الملك
السابق ، وفى هذه الانتاء يعنى أخوف وترسب اربنت الذين
هم موضع شك أو الذين يحسون أنهم مكروهون . وهذه
العادة تجعل من يظنون أنهم موضع شك يفرون تارئين البلاد .
وقديما كان المطلوب من الملوك أن يشربوا السم عند حدوث
أية نكبة خطيرة (أو مصيبة تلم بالبلاد) أو عند
إصابتهم بمرض معد ، أو ضعف جنسى أو كساح أو عرج
أو ما شابه ذلك أو عند فقدهم لأسنانهم الأمامية أو أى جزء
من أبدانهم يشين للنقص . وهم يبررون ذلك بقولهم ان
الملك يجب ألا يمتريه نقص ، فاذا ما حدث له ذلك كان من
الأشرف له أن يموت لينذهب الى حياة أخرى ، يكون فيها تاما
كاملا .

الكوييتيف يخرق العرف :

ومع هذا فبينما كنت فى سوفا لا كان الكوييتيف الذى
يحكم على رشك أن يفقد الملك لأنه فقد احدى أسنانه

الأمامية ، لكنه أعلن في سائر أنحاء المملكة أن إحدى أسنانه قد سقطت وأن أسلافه كانوا أغبياء لقتلهم أنفسهم لمثل هذا السبب ، وأنه لن يقتل نفسه لفقده سنا من أسنانه وإنما سينتظر حتى يوافيه الأجل بشكل طبيعي لأنه يعتقد أن حياته ضرورية للحفاظ على المملكة ضد الأعداء وأنه يوصى ذريته بالحدو حذوه .

التصفيق والزحف رمز التذلل والخضوع :

وإذا كان لدى أحد الكافير Cafars التماس أو شكوى ، وكان يود التحديث مع الملك فإنه يزحف اليه ويركع عند المدخل ولا ينظر اليه عند الحديث ، وإنما عليه أن يصفق بيديه طوال الوقت ، فالتصفيق هو رمز الخضوع في هذه الأنحاء وعندما ينتهى ، عليه أن يزحف خارجا كما أتى ، فلا يجب أن يدخل أحد الكافير على الملك سائرا على قدميه ليتحدث للملك ولا أن ينظر اليه عند الحديث ويستثنى من ذلك أصدقاء الملك ، وأفراد أسرته ، أما بالنسبة للبرتغاليين فهم يدخلون الى الملك سائرين على أقدامهم ، ويسجد الواحد منهم وينطرح على أحد جنبه ولا ينظر اليه وهو يتحدث ، ثم انه يصفق بيديه بعد كل أربع كلمات وفقا للعادة المتبعة . وعلى الكافير والبرتغاليين على سواء أن يقبلوا استضافته بشرب نبيذ المايز (الذرة) Mays ويسمى بومبي Pombe مع أنه مؤذ للمعدة ، ولا يجوز رفض الكرم الملكى ، وعندما يواجه البرتغاليون بعض المتاعب يجبرون على البقاء في المدينة دون أن يغادروها مما يكلفهم كثيرا من الوقت والمال .

الكويتيف يزور قبور الأسلاف :

وفي كل شهر سبتمبر يقوم ملك الملوك (الكويتيف) عند تغير القمر بالذهاب من زمباشي Zimbache - مدينته - الى التل العالى ليمارس طقوسا جنائزية عند قبور أسلافه (أجداده) المدفونين هناك ويصعبه في ذلك جماعات كبيرة من المدينة نفسها ، وجماعات أخرى من بعض أنحاء المملكة

يدعون الى هنا لممارسة هذه الطقوس • وحالما يصعد الملك ومن معه الى التل يشرعون فى تناول الطعام ويشربون نبيذهم الممزج بالبسبى Pombé ويسنمون فى الأكل ويشرب طوال ثمانية أيام ، ويسمون أحد هذه الأيام بمبارار Pembrar نسبة الى لباس خاص أو أغطية خاصة يرتدونها •

وفى هذا المهرجان يلبس الملك والنبلاء أفضل ملابسهم الحضرية والقطنية المزودة بشراريب كثيرة كشراريب السجاد مزخرفة وتندلى على عيونهم وجوههم كالشراريب التى تندلى على جبهة الحصان • وهم يرتبطون حول الرأس عصاهه riboand ويشسمون أنفسهم الى قسمين ويجرى كل قسم فى مواجهة القسم الآخر على إقدامهم وقد حملوا الاقواس واسهمهم ويقتنون بسهامهم نحو السماء حتى لا تصيب احدا منهم ويظلون فى عدوهم هذا وأعمالهم تلك حتى ينهكهم التعب • أما الذين يستمرون أكثر من غيرهم ويصمدون - بعد أن يكون الآخرون قد خروا من التعب - فانهم يعتبرون أكثر الرجال بسالة وتحملا ، ويكافأون بتقديم جوائز مناسبة • وقد أمر جاسبار دى ملو Gaspar de Mello قبطان سوفا لا على أيامى بصناعة عصاية لها شراريب (زوائد) كثيرة من حرير وذهب وأرسلها مع قطع أخرى الى ملك الملوك (الكويتيف) وقد فرح بها كثيرا واعتبرها مفيدة لطقوس يوم البمبارا •

أيام الحداد بعد أيام البمبارا :

بعد انتهاء أيام البمبارا الثمانية وهى أيام مهرجانات وأكل وشرب ، يقضون يومين أو ثلاثة فى حداد ، اذ يلبس الشيطان Devil أحد أفراد المجموعة the Devil enters into one of the Company ويقولون انه ملبوس بروح الملك الراحل والد الملك. الحالى الذين يقيمون هذه المراسم على روحه ، وأن روحه قد لبست هذا الشخص لأنه يريد أن يتحدث الى ابنه (الملك الحالى) • عندئذ ينطرح رجل الكافار kafar

الذى لبسته روح الملك المتوفى - على الأرض فى حالة اعياء ويبدو مخيولا تاتها ، وتتحدث الروح (الشيطان) على لسانه بكل اللغات الغريبة التى تتحدث بها قبائل المملكة ويفهم كثير من الرجال الحاضرين ما يقول * وبعد ذلك يبدأ فى انصرف كملك ، فيتحدث كملك ، ويعلم الكافير Cafars من خلال اشاراته أن أرواح الملوك السابقين قد حضرت * عندئذ يتقدم الملك ومعاونوه الى الشخص الملبوس (الذى لبسته روح الملك المتوفى) ويقدمون له واجبات الاحترام والتوقير *

الشيطان يعظم :

ثم ينسحب كل الموجودين ويتنحون جانبا ويبقى الملك وحده يتحدث بود وصداقة مع روح والده الراحل ويسأله ان كان قد ارتكب خطأ (أى اذا كان الملك الحالى قد ارتكب خطأ) ويسأله هل سينتصر على أعدائه وعما اذا كان سيواجه اضطرابات فى مملكته وغير ذلك مما يود سؤاله عنه ، ويجيب الشيطان Devil (المترجم : المقصود روح الملك المتوفى كما يعتقد أهل البلاد) عن أسئلته ويوجه له النصيحة فيما ينبغى عليه عمله * وقد شهد بعض البرتغاليين ذلك بأنفسهم *

استفتاء الشيطان فى مناطق أخرى من العالم :

وتفيد التقارير أن بعض قبائل الصين والفلبين يستفتون الشيطان على النحو آنف الذكر *

عن الكافير وعقائدهم :

وأعتقد أن أمة الكافير (*) هذه Caphar Nation هي أكثر الأمم وحشية وبربرية فى العالم فهم لا يعبدون الها ولا وثنا وليس لديهم أيقونة Image ولا كنيسة ولا أضرحة ولا رجال دين ، وهم أقسى قلوبا من أن يتحولوا للمسيحية أو الاسلام * وهم يؤمنون بخلود الروح ، ولديهم فكرة مضطربة عن وجود

(*) ربما تحريف لكلمة كافر العربية *

اله عظيم Great God ويسمونه مولونجو Molungo لكنهم لا يتوجهون اليه بالعبادة ولا يدعونه لتحقيق طلباتهم ، فإذا أعوزهم شيء أو حاق بهم جندب توجهوا بالدعاء الى الهك فهم يعتقدون - بشدة - انه على كل شيء قدير وانه يستطيع ان يحصل على كل شيء من أجداده (اسلافه) الأموات الذين يجتمع بهم . فهم يطلبون من الملك اسقاط المطر اذا كانوا فى حاجة اليه لزراعة المحاصيل الموسمية وهم يقدمون له هدايا عظيمة ان طلبوا منه ذلك فيتركهم يعودون الى ديارهم فى انتظار ساعة مواتيبة لتحقيق طلبهم ، ورغم ان امالهم تخيب غالبا فانهم يستمرون فى اضاءة وقتهم واموالهم فى مزيد من التماس المطر من الملك حتى يسقط المطر او يتحقق الطلب الذى طلبوه ظانين ان الحاحهم فى الطلب جعل الملك يلبيه فى خاتمة المطاف .

المهرجانات والمواسم :

ويراعى الكافير اقامة المهرجانات ليرجعوا أنفسهم من عناء العمل (فيما عدا الرقص) ، ويحدد الملك مواقيت هذه المهرجانات دون أن يكون من حقهم معرفة أسبابها أو مواعييدها ، ويسمون أيام المهرجانات هذه الموسيمو Musimos وتعنى أن أرواح القديسين (الصالحين) Saints ترحل وأن هذه المهرجانات تكون على شرفها حتى تمنعها من مفارقة البلاد . وفى أحد هذه المهرجانات أمر برتغالى فى زمباشى Zimbache (كان فى طريقه الى مانيسا حيث مناجم الذهب) بذبح بقرة فى بيته لاطعام عبيده ومن معه وعلم الكويتيف (ملك الملوك) من أحد موظفيه أو عساكره - الميثوثين بكثرة فى المدينة وفى سائر أنحاء المملكة - بذلك ، فطلب من البرتغالى أن يتحمل نتيجة عمله وألا يتدخل فيما لا يعنيه مرة أخرى ، وألا ينتهك حرمة مهرجاناته Musimos ولم يجد البرتغالى حلا لهذه المشكلة الا بترك

الذبيحة تنتن أو أن يدفع الامبوفيا Empofia غرامة وهي لا تقل عن خمسين ثوبا ، وترك البرتغالي البقرة لتنتن لمدة أيام مما اضطره لترك منزله ، وذهب لمنزل أخسر ولكن الدوييتيف لم يسامحه وأجبره على دفع الامبوفيا (الغرامة) .

الحياة الأخرى :

ولا يدري الكافير شيئا عن خلق العالم أو خلق الانسان، ولا يدرون شيئا عن أن جزاء ارتكاب السوء هو دخول جهنم، وأن جزاء فعل الخير هو دخول الفردوس . انهم يؤمنون فقط بخلود الروح في العالم الآخر ، وأنهم سوف يعيشون مع نساؤهم حياة أفضل من حياتهم الدنيوية هذه ، لكنهم لا يدرون في أى مكان سيكون عيشهم في فردوسهم الأرضي هذا .

الشیطان :

وهم يعتقدون في وجود الشيطان ويسمونه موسوكا Musuca وأنه يلحق الضرر بالانسان . ويعقدون مهرجانا عند كل ظهور للقمر . ويقولون اذا طلع القمر ان الشمس ذهبت لتنام . وهم لا يكتبون ولا يقرءون وليس لديهم كتب ، وكل تاريخهم ينقل شفاهة (تراثا شفهي) ويعتقدون أن القروء كانت رجالا ونساء ثم مسخت ، والاسم الدال على القروء في لغتهم يعنى « الشعب القديم » .

حرس ملك الملوك وحاشيته وألقابه :

وقد تم تعيين مائتي رجل أو ثلاثمائة لحراسة الكوييتيف فهم جنوده وأدواته التنفيذية ويسمون انفيكس Infikis وهم يصيحون أثناء سيرهم قائلين . انها . انها . . . وهي كلمة تعنى « لحم » لحم ، وللکوييتيف صنف آخر من

الرجال يصاحبونه وهم المارومب Marombs بالإضافة للمهرجين أو المضحكين Jesters ، وهؤلاء اغانيهم ونترهم المبتذل في مدح الملك ، فهم يطلقون عليه رب الفمر واستمس وسيد الارض والانهار وقاهر الاعداء ، ويصفونه بالعظمة شئ ذل شئ ، فهو اللص الكبير ، والساحر العظيم والاسد الهزير ، ويطلقون عليه سائر القباب الضخامة والعظيمة * . وعندما يخرج ملك الملوك (الكويتيف) من منزله يتتعلق حوله هؤلاء المارومب وهم يصيحون صيحات هائلة * وللملك جوقة تعزف في الصالة الملكية وعند البوابات ، وهم يحملون آلات موسيقية ويرددون المدائح الملكية *

الآلات الموسيقية :

وأفضل آلاتهم الموسيقية تسمى أمبيرا Ambira وهى تشبه - كثيرا - الأرغن Organs عندنا ، وهى مصنوعة من البمبيون Pompions (؟) وبعضها ضخمة ، وبعضها الآخر نحيل ، والمقصود بهذا الاختلاف أن تصدر أصواتا مختلفة ، ولهذه الأمبيرا فتحة الى الجانب بالقرب من أسفلها ، وهذه الفتحة فى مساحة الشلن ، ولها زجاج فى أسفلها مصنوع من نسيج نحاسى Copweb (؟) رقيق وقوى ، وعلى فتحاتها (فوهاتها) صفوف من المفاتيح الخشبية الرقيقة المشدودة بحبال فى أعلاها ، وهم يعزفون عليها بعضى تشبه عصى الدق على الطبل ، ولها أزرار أو كرات يبلغ حجم الواحد منها حجم الجوزة ، وإذا حركت المفاتيح صدر نغم عذب حلو ، فى قوة الأنغام التى تصدرها آلة العذرية virginal ، وثمة آلة موسيقية أخرى عندهم تسمى أيضا أمبيرا وهى - كلها - مصنوعة من أسافين حديدية مطروقة بشكل يجعلها مسطحة وضيقة ويبلغ طولها شبرا ومعالجة بالنيران لتصدر أصواتا مختلفة ، ولا يزيد عدد الأسافين (الزامير) عن تسعة

مزامير مصفوفة وأطرافها. محاطة بالخشب كرقبة الكمان (الفيوول) وهى مجوفة ، ويعزفون عليها بأظفار اصابعهم الابهام . وتصدر هذه الآلة انغاما أفضل من آلة العذريه ، ولديهم أبواق من قرون الحيوانات ، ويسمون هذه الابواق باراباراس Paraparas وتصدر أصواتا مرعبة ، ولديهم طبول تصدر أصواتا مختلفة ، وعندما يرسل ملك الملوك (الخويتيف) سفراء ، فإنه يرسل معهم رجالا من هذه الفئات الثلاث آنفة الذكر ، يصيحبون ويعزفون ويرقصون ويحصلون على مؤنهم عنوة اذا لم يقدمها الناس لهم اختيارا .

العدالة والقضاء :

ولديهم ثلاث طرائق لاثبات البراءة أثناء المحاكمة ، وكلها طرائق مرعية .

تناول السم لاثبات البراءة (اللوكاس Lucasse) :

والطريقة الأولى تسمى (اللوكاس) وتطلق الكلمة على أنية مليئة بالسم ، يقدمونها للمتهم قائلين انه ان كان مذنباً مات فى الحال ، وان كان بريثا نجا من الموت . وقد يؤدى الرعب بالمذنب الى الاعتراف بالجريمة التى ارتكبها ، أما البريء فإنه يشرب السم بثقة دون أن يلحقه أذى، وبذلك يسقط عنه الاتهام أما المدعى Plaintiffe الذى اتهمه اتهاماً كاذباً فتقسم ممتلكاته وهى : الزوجة والأطفال وأثاث المنزل goods فيأخذ الملك نصفها ، ويأخذ المتهم الذى ثبتت براءته نصفها الآخر .

لعق الحديد المغمى لاثبات البراءة (زوكوا Xoqua) :

والطريقة الثانية تسمى (الزوكوا) وهى قطعة حديد تحمى فى النار حتى تصير حمراء ، ويؤمر المتهم بلعقها وهى ساخنة حمراء قائلين له ان النار لن تضره ان كان بريثا

وستحرق لسانه وفمه ان كان مذنباً • وهذه الطريقة أكثر انتشاراً من الطريقة السابقة ويستخدمها الكافير Cafres والمسلمون في هذه المناطق ، بل وحتى بعض المسيحيين يستخدمون هذه الطريقة ذاتها مع عبيدهم المتهمين بالسرقة ، فقد أمر أحد المسيحيين في سوفالا Sofala بتنفيذ طريقة الزوكوا مع عبد اتهم بسرقة عباءة ، وقد لعق العبد الحديد المحمى بالنار ثلاث مرات دون أن يلحق به أذى •

شرب المر (كالانو) :

والطريقة الثالثة يسمونها كالانو ، ويقصد بها آنية من ماء يجعلونه شديد الحرارة بعصر أعشاب معينة فيه ويقدمونه للمتهم قائلين انه ان كان بريئاً شربه كله جرعة واحدة دون توان ثم يستفرغه كله مرة واحدة دون أن يلحق به أى أذى • وان كان مذنباً فانه لن يكون قادراً على تجرع قطرة واحدة دون غرغرة Choaking and gargeling .

ويشاهد المرء هنا كثيراً من هذه التجارب (الطرق) الأتف ذكرها ، فالمذنبون يموتون بتأثير السم أو النار • الخ والأبرياء تطهر ساحتهم •

إشارة لليهود :

ان ثمة تشابهاً بين هذه الطرق في اثبات البراءة وبين الأسلوب الشيطاني الخسيس (القرودى apish) المتعلق بماء الحسد الملعون Cursed water of jealousy المذكور عند اليهود (النص : عند موسى عليه السلام in Moses) الذين كانوا - ذات يوم - معروفين تماماً في سوفالا وكانت سمعتهم سيئة •



قرون الملك

وصف الكافير :

والكافير سود كالزفت as pich وشعورهم مجمدة ، وهم يصفرون شعورهم ضفائر hornes كثيرة ، يراها الراني مشدودة الى أعلى كعصى المغزل ، ويضعون قطعاً رقيقة من الخشب بين خصلات شعورهم لتدعيمها دون شد او ثنى ، وان لم تستخدم هذه الأخشاب فانهم يربطون خصلات شعورهم بعصاية ribband معمولة من لحاء بعض النباتات (الاعشاب) . ولحاء هذه النباتات أو الأعشاب عندما يكون غصناً فإنه يلصق كالفرع ، وبهذا اللحاء يلفون خصلات شعورهم من أدناها الى أعلاها ويجعلون من كل خصلة صغيرة (قرناً) horne ، وهم يفخرون بذلك ويتباهون ، ويعتبرونه دليل الرسامة والشجاعة *

المرأة تفضله بقرون :

ويتباهى بعضهم على بعضهم الآخر بهذه القرون ويسخرون من الرجل الذى لا قرون له قائلين انه كالمرأة ، وحجتهم فى ذلك أنه مادام الذكر من الحيوانات له قرون ، فان الذكر من بنى آدم يجب أن يكون له قرون ، لأن المرأة من بنى الانسان - كالأنثى من الحيوانات - تحب الذكر ذا القرون *

قرون الملك :

ولملك الملوك (الكوييتيف) نسق فريد خاص به فى تنظيم قرونيه الأربعة لا يجوز لأحد تقليده فيه ، فأحد قرونيه يبلغ الشبر طولاً وموقعه فى مقدمة الرأس ، كقرن الحيوان المعروف بوحيد القرن unicorn أما القرون الثلاثة الأخرى فتطول الواحد منها نصف شبر ، وأحد هذه القرون الثلاثة على الرقبة والقرنان الآخران ، عند الأذنين وكل هذه القرون منتصبة الى أعلى (منتصبة أو بشكل عمودى) * ويسبب

قرونهم هذه فهم لا يضعون فوق رؤوسهم قبعات أو أغطية راس * وكساء الملك والزعماء من قطن رقيق أو حرير ، يطوقونه حول أبدانهم ويوصل في غالبه الى الركبة ، وسمت لباس اخر اكثر قيمة يسمونه ماشيرا Machiras ينسجه الحافير ويوضع على الاكتاف كالعباءة ، فحيثما ذهبوا تلفعوا بها واحيانا يعلقها الواحد منهم على ذراعه اليسرى ، تاركا ايها تتدلى حتى الأرض * وهذا دليل العظمة والكبرياء ، ويسبرون على هذا النحو الواحد اثر الآخر ، أما بقية أجسادهم فمارية وهم يسبرون حفاة ، أما العوام فيسبرون عراة تماما — بلا خجل — سواء أكانوا رجالا أم نساء وأقصى ما يفعلهُ أحد هؤلاء العوام هو أن ينفطى منطقة المورة بجلد قرد سواء كان رجلا أو امرأة ، وهذا الغطاء يشبه مئزر الحداد Smith apron لكن الكافير الذين يتعاملون في التجارة مع البرتغاليين يلبسون ما يغطيهم حتى الركبة *

الحرف والصيد :

وليس لدى الكافير حرف سوى حرفة الحدادة ، فالحدادون يصنعون الأزاجيات Azagays (٥٠) والمجاريف Spades والأبواب الحديدية ، والخناجر (أنصاف السيوف half-Swords) ، والنساجون الذين ينسجون الملابس القطنية كالماشيرات Machira آنفة الذكر * وتقوم النسوة أيضا بنسج هذه الماشيرات ، لكن هذا العمل غير ملائم لهن ، فالنساء يعملن بشكل أساسي في عزق الأرض وتخليصها من الأعشاب الضارة ، وبذرها ، أما الرجال فلا يساعدون نساءهم في هذه الأعمال الشاقة الا قليلا ، فاستخدام الجاروف — على غير المعتاد — هو عمل المرأة عندهم ، كما أن استخدام المغزل هو عمل المرأة عندنا ، وبعض رجالهم يقومون بين الحين والآخر بصيد الحيوانات المتوحشة ، بينما الرجال الآخرون يقضون وقتهم في الرقص والغناء ، لذلك فهم فقراء *

رحلات الصيد الملكية :

ويقوم ملك الملوك (الكويتيف) برحلات صيد ملكية يصحبه خلالها ثلاثه الاف رجل او اربعة الاف ، فى الصحراء بقريبة من المدينة ، فيحاصرون كل الحيوانات البريه فى ذلك النطاق سواء اكانت نمورا أم أسودا أم قيلة أم جاموسا أم أيائل أم خنازير برية وما الى ذلك ، ويشودونها جميعا ثم يحثون كلاهم عليها، ويهجمون عليها بسهامهم وازاجياتهم Azagyes ويقتلون منها ما يستطيعون قتله ، وهم انشاء ذلك قد يقتلون أسدا مع أن هذا محظور فى غير هذه المناسبة بأمر ملك الملوك (الكويتيف) الذى يحمل لقب الأسد الكبير . وبعد ذلك يأكلون من لحوم هذه الحيوانات فى موضع قتلها وقد غمرتهم السعادة ، ويحملون غالب لحومها لديارهم ليأكل منها الملك وغيره .

البيت والأثاث :

ومنازلهم مستديرة من جذوع أشجار غير معالجة (كما هى فى الطبيعة) ومنطقة بالقش كبيوت الريف المغطاة ، وعملية نقل القش الى أسطح المنازل عملية مبهجة لهم . أما أثاثهم فأنية كبيرة يطبخون فيها قمحهم ، وجاروفان لحفر التربة ، وأقواس وسهام وحصيرة ينامون عليها ويعملونها من السمار rushes ، وان كانوا بشكل عام ينامون على الأرض ، وان كان الجو باردا أشعلوا نارا فى وسط الدار ، وينامون جميعا بالقرب منها كالقطط . تلك هى الحياة البائسة والبربرية للكافير - ان جاز لنا أن نسمى مثل هذه المعيشة حياة .

الطعام :

أما طعامهم - عادة - فهو الميز Mais (كالدرة) والحبوب pulse (ويقصد بها اللوبيا والفاصوليا والفلو .. الخ)

والفاكهة وقصب السكر والأسمك ، وكل أنواع لحوم الحيوانات التى يقتلونها فى الصحراء كالقروء والسحلاب والقطط والفئران والأفاعى والسحالى ، ويأكلون كذلك التماسيح وكل أنواع اللحوم ، ويفضلون بيع الأرز للبرتغاليين بدلا عن أكله اذ يفضلون عليه الميز Mais (الذرة) ، وهم يتقونه فى الماء بقدر البك (يفتح الباء) pecke أو نحوه لمدة يومين فيزيد حجمه ثم يلقون الماء ويذكونه لساعتين أو ثلاث حتى يجف جيدا فيدقونه فى هاون كبير يصل ارتفاعه الى وسط الرجل ويسمونه كوني Cuni ، أما البرتغاليون فيسمونه بيلانو Pilano . وبعد ذلك يضعون أنية فخارية كبيرة على النار وقد ملاوها الى منتصفها بالماء ، فاذا غلى وضعوا فيه ما يزيد على نصف بك من دقيق الميز (الذرة) ، وهم يضعونه بالتدريج شيئا فشيئا (قليلا قليلا) ، ثم يحركونه (يقلبونه) ، كما تفعل نحن عند اعداد حساء الخضر ، فاذا ما نضج قليلا رفعوه عن النار وأضافوا اليه ما سبق أن أعدوه من دقيق وقلبوهم معا وبذلك يكونون قد أعدوا البمب Pombe ويتركونه ليومين ثم يشربون منه ، وكثيرون منهم لا يأكلون أو يشربون شيئا آخر سواء ، واذا ترك هذا البمب لأربعة أيام أو خمسة أصبح أكثر تخمرا وأصبح له طعم الخل ، وأصبح مسكرا شديدا البأس ، ويقولون انه يجعلهم أقوىاء *

وفى بعض الأماكن ينمو بعض أنواع القصب reed يكون كل عامين أو ثلاثة كيزانا ضخمة يجمعونها ويخزنونها ، وتعد موردا جيدا للغذاء *

البانجو :

وفى كل أنحاء بلاد الكافير (كافراريا Cafraria) تنمو أعشاب معينة ويقومون أيضا بزراعتها ويسمونها البانجو Banguه يقطعون أوراقها ولحاءها ويتركونها حتى

يجفا ويدفانهما ليصبحا مسحوقا ، ويأكل الواحد منهم قبضة من هذا المسحوق ويشرب بعده ماء ، ويمكن الاكتفاء بتناول هذا البانجو لعدة ايام ، واذا أكل الواحد منهم كثيرا من هذا المسحوق غاب عن الوعي ، فالبانجو مسكر كالنبيد .

أداة التنبؤ والرجم بالغيب (الشاراتا Charta) :

ويعمد كل هؤلاء الكافر الى أساليب خاصة فى التنبؤ والحساب الغيبى لضمان النجاح اذا شرعوا فى رحلة أو القيام بعمل تجارى أو بذر البذور ، ويفعلون انشاء نفسه اذا أرادوا البحث عن شيء ضائع أو مسروق ، كما يفعلونه إذا أشكل عليهم فى أى موضوع ، فاذا ما أخذوا الإشارة (الفيبية) بضمان النجاح مضوا فى اتمام أمورهم ، وهم فى ذلك يفعلون مثلنا عندما نستخدم الانجيل Gospels للفرض نفسه ، وأداة « القرعة » أو « استفتاء الغيب » Lots عبارة عن عصى ملساء ومستديرة ومثقوبة من وسطها ، وهم يحملونها معهم دائما وينظمونها فى خيط يمر من ثقبها - ليستخدموها فى أى أمر يختارون فيه . وهم يجربون هذه الاعواد عدة مرات (يرمونها كترد الطاولة dice) ، وقد يفتنأون من خلال نقراتها ، أو خطوطها على الأرض . وبعض الكافرين سحرة كبار (أو عرافون كبار) Great Witches فهم يتحاورون مع الشيطان Devils لذا فهم ينبطحون للشيطان (يتسجدون له) . وقد حرم الملك ممارسة السحر والعرافة دون اذنه ، ومن خالف ذلك عوقب بمصادرة ممتلكاته : زوجته وأبنائه وأثاث بيته ، ويتم توزيعها مناصفة بين الملك والمبلغ أى الشخص الذى أخبر الملك بأمره . ومع هذا فإن كثيرين يمارسونه سرا ويتمنى الجميع ممارسة هذا العمل أن يشتطاعوا . ويطبق العقاب نفسه (مصادرة الزوجة والأطفال والأثاث ..) على اللصوص والزناة adulterers . ويعتبر من الأمور المشروعة أن يقتل أى شخص أى فرد من الفئات

الثلث آنفة الذكر : السحرة والصوص والزناة ، كما يحق له ان يفعل مع أى فرد من هذه الفئات ما يتخلو له - ان لم يقتله - كأن يبيعه أو أن يتصرف معه كما يشاء على نحو ما يصرف فى ممتلكاته .

شراء الزوجة :

ويدفع الرجل من الكافير لوالد زوجته ملابس جميلة أو غير ذلك وفقا لقدرته . لذا فالرجل الذى أنجب بناتاً كثيرات محظوظ وغنى ، وإذا كره الرجل من الكافير زوجته أعادها الى أبيها دون أن يسترد ما سبق أن دفعه ، وقد يبيعهها أبوها مرة أخرى - لزوج آخر .

وليس للزوجة حرية رفض زوجها أو هجره . وتتمثل أفراح الزواج فى الرقص والولائم التى يحضرها الجيران ، وكل ضيف يحضر الحفل يجلب معه هدية : وجبة ، ذرة Mais ، انهام inhams فراء fitches أو غير ذلك . ومن كان مقتدراً

من الكافير تزوج من امرأتين ، لكن قليلين منهم قادرون على الاستمرار فى الاحتفاظ بهما ، أما الأثرياء فلهذه زوجات كثيرات ومع هذا فمن بينهن زوجة واحدة رئيسية ، أما الباقيات فبمشابة وصيفات hand maids ، وبعض الكافير يعيشون كالسوائم wild beasts فهم يذهبون للغابات والبراري ويتجولون مستمتعين بهذه الأماكن حيث ينطلقون بحريتهم كاملة ثم يستحمون هم وأطفالهم فى نهر أو بحيرة ، ثم يعودون بهم الى منازلهم عراة بدون حتى ما يغطى العورة حيث ينامون على حصير أو بعض القش دون أسرة يتمددون عليها .

عند الموت :

وإذا مات أحدهم تجمع أصدقاؤه وجيرانه وأفراد عشيرته لينوحوا عليه طوال اليوم الذى مات فيه ويحملونه فى نفس يوم مماته على حصيرة أو مقعد ويدفنونه بعد لثه بقماش أو

عباءة ان كان يمتلك منهما شيئاً ، والا فانهم يدفونونه عاريا
 في حفرة في الصحراء او مكان خال ويضعون بالمررب منه
 أليه بها ماء وهدية من الدرة ^{درة} ليأخذ ويشرب - حسب
 قوتهم - أثناء رحلته للحياة الأخرى ، ويهيئون عليه التراب
 ويضعون على موضع الحفرة الحصى أو المعد الذى كان
 يستخدمه حتى لو كانت هذه الحصى أو ذلك المقعد جديدا ،
 مخافة أن تكون حاملة للموت أو لبعض الأمراض • وتسمر
 وذلك لأنهم يتشاءمون من لمس حصى أو مقعد شخص متوفى
 فترة الحداد عليه ثمانية أيام من الصباح للظهرة بالاضافة
 لساعة أخرى عند الغروب ، وهم يقضون فترة الحداد هذه
 فى الرقص والغناء والتحدث معا ويتحلقون فى دائرة وبين
 الحين والآخر يخرج أحدهم داخل الدائرة ليدور دورة أو
 دورتين ثم يعود لموضعه مرة أخرى ، وبعد انتهاء الحداد
 يجلسون فى حلقة ويأكلون ويشربون على روح الفقيد ثم
 يعودون لبيوتهم ، لتقوم جماعة أخرى من عشيرته بالعمل
 نفسه •

عند المرض :

والكافير قوم قساة لا تراحم بينهم فإذا مرض أحدهم
 ولم يكن له زوجة ولا عشيرة ولا أصدقاء يهتمون به فلن
 يقدم له أى واحد من الكافير مساعدة وانما يتركونه يعانى
 ويموت دون أن يعطف عليه أحد ، رغم أنهم يرونه وهو
 يفنى من الجوع • وبهذا المرض (الجوع) يموت معظمهم ،
 ولما يبلغ الأمر منتهاه يقوم أحد الأصدقاء بحمل الرجل
 البائس الى مكان مهجور لا زرع فيه ويطرحة عند دغل ، أو
 تحت شجرة ويضع له آنية بها قليل من الماء مع قليل من
 الذرة mais ليأكل - ان استطاع ، ثم يتركه حتى يموت
 دون أدنى عناية به • ورغم أن بعض الكافير يمرون به
 ويرونه يتالم ويتوجع فانهم لا يقدمون له أية مساعدة •

فالبربرية عنصر طبيعى فى تكوينهم ، لذا فان بعضهم عندما
يحسون أنهم قد مرضوا مرض الموت يطلبون أن يحملوا الى
البرية ويتمددون تحت شجرة حيث يموتون كما تموت
السوائم •

عن نهر كواما والمناطق القريبة منه وعن
الحيوانات والدجاج والأسماء فيها وعن جبال :
أوباتا Lupata وشجيرات وروزديا وسنا وتير وماسابا
وعن مملكة مانا موتوبا ، وعن أثير Ophir ومسابم
الذهب في قورا •

الزمبيزي (٥١) :

نهر كواما Cuama هو النهر الذي يسمونه الزمبيزي
Zambeze ، ومنبع هذا النهر موغل في البر (المناطق الداخلية)
ولا يدري أحد منهم عنه شيئا ، لكنهم يروون عن أسلافهم انه
ينبع من بحيرة وسط القارة يخرج منها أنهار أخرى عظيمة
تتخذ مجارى مختلفة الى البحر (المحيط) وهم يسمونه نهر
الزمبيزي نسبة الى أمة من الكافر تقطن بالقرب من هذه
البحيرة تحمل هذا الاسم • وجريان هذا النهر شديد ويبلغ
عرضه في بعض المواضع أكثر من فرسخ ، ويتفرع هذا
النهر الى فرعين قبل أن يصب في البحر (المحيط) يعشرين
فرسخا ، وكل فرع من فرعيه في نفس اتساع المجرى
الأصلي each daughter is great as the mother • ويسمى الفرع
الرئيسي لوابو Luabo ، وهو بدوره ينشعب الى فرعين أحدهما
يسمى لوابو القديم Old luabo والثاني كواما القديم
Old Cuama أما الفرع الآخر وهو أقل أهمية فيسمى كويليمين
Quilimano وهو الذي أسماه فاسكو دي جاما نهر دوز بونا
سيناس Dos Bona Sinas وهو في طريقه للهند ، ويرجع سبب
هذه التسمية الى الأخبار السارة التي سمعها في موزمبيق
ومن ثم فقد نصب عمودا حجريا عليه صليب وشارة البرتغال
وسمى المنطقة أرض القديس رفايل (terra de Sancta Raphael)

وللنهر فرع آخر عظيم هو نهر لندي Linde • وعلى هذا فنهر
الزمبیزی يصب في البحر (المحيط) من خلال خمسة أفرع
(مصبات) عظيمة جدا •

ويجرى نهر لوابو Luabo طوال العام أما كويليمين
Quilimane فلا يجرى الا شتاء • وهم يبحرون في نهر لوابو
الى الغرب فالشمال الغربى مسافة مائتى فرسخ الى مملكة
ساكومبى Sacumbe حيث يصادفون شلالات عظيمة great
fall from Rocks ، وبعد هذه الشلالات يسرون برا عشرين
فرسخا الى مملكة شيكوكا Chicova حيث مناجم الفضة ، وبعدها
لا يستطيعون الابحار بسبب عنف التيارات المائية ، لكن بعد
شيكوكا نجد النهر قابلا للملاحة فيه ، ويحمل نهر لوابو
Luabo اسم جزيرة لها الاسم نفسه ، وهذه الجزيرة تفصل
بين لوابو القديم فى الجنوب وكواما القديم Old Cuama
فى الشمال ، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة فراسخ ولا يقل
عرضها عن ذلك كثيرا ، ويقطنها المسلمون والكافير ، ويتم
تفريغ السفن الموزمبيقية الضخمة ذوات الصواري الثلاثة
(ويسمونها بانجاىو Pangayes) هنا ، فلا يمكنها الابحار
صاعدة فى النهر لضخامة أحجامها ، فهم بعد تفريغ هذه
البانجاىو يشحنون بضائعهم فى قوارب صغيرة الى قلعة سنا
Sena التى تبعد ستين فرسخا • وتسمى المنطقة (الأرض)
الواقعة فى الجانب الشمالى بورورو Bororo ، أما الأرض
(المنطقة) الواقعة فى الجانب الجنوبى فتسمى بوتونجا
Botonga . وتعرض جزر كثيرة مجرى النهر ، وبعض هذه
الجزر واسع جدا وان كانت أفضلها وأكثرها سعة هى
جزيرة شنجوما Chingoma عند الحد الذى ينقسم فيه
الزمبیزی الى لوابو Luabe ، وكويليمين Quilimane والجزيرة
الثانية الجديدة بالذكر هى جزيرة انهانجوما Inhangoma
بالقرب من قلعة سنا Sena ، ويبلغ طولها عشرة فراسخ كما
يبلغ عرضها فى بعض المواضع فرسخا ونصف الفرسخ ،

ويبحر البرتغاليون هنا نهارا ويلجأون للجزيرة ليلا خوفا من التيارات المائية الشديدة وخوفا من الدخول فى مواضع ضحلة . وقد شغل الكافير Cafres هذه الجزيرة بالصدفه فهم يأتون بقواربهم ويبيعون ما معهم من مؤن بينما يكون النهر فائضا (فى حالة فيضان) مما يجعل المنطقه وافرة الثمر . وفى شهرى مارس وابريل ، تكون الحقول مغمورة بالمياه وتكون الأنهار الأخرى مليئة بالمياه ، ليس نتيجة الأمطار أو ذوبان الجليد وإنما يبدو أن هذه المياه قد جلبتها الأنهار من مناطق بعيدة . وفى هذه الفترة تصبح المنطقه غير صحية ويموت كثير من الكافير بسبب الأمراض (★) .

أفراس النهر :

وتعتبر هذه الأنهار بمشابه حديقه حيوان ففيها ما يسمونه أفراس النهر River-horses والواحد منها أضخم من حصانين من خيولنا ، والقدم الخلفية لفرس النهر قصيرة وغلظه ، ولها خمسة مخالب فى كل قدم من قدميها الأماميتين أما قدمها الخلفية ففيها أربعة مخالب ، وقدمها ضخمة كما لو كانت قدم فيل أما الفم فواسع مليء بالأسنان يمكن ملاحظه أربعة منها ، وطول السن (الناب) يزيد على شبرين ، ويتنصب النابان السفليان بشكل عمودى قائم ، أما رأسه فضخم يساوى فى ضخامته رءوس ثلاثة ثيران . وقد رأيت جمجمة أحد هذه الأفراس عند باب دار من دور أحد الكافير . لقد كانت ضخمة جدا حتى ان الرجل الكافيرى جعل ابنه البالغ من العمر سبع سنين أو ثمانى يجلس داخل الفم على الفك السفلى وقام باطباق الفكين ، وولده جالس بالداخل (داخل الجمجمة) . وتعيش أفراس النهر فى جماعات ، ولكنها تتغذى مما ينبته البر من حشائش وفروع أشجار ، وتلحق أضرارا جسيمة بحقول الذرة والأرز بسبب تجوالها فيها

(★) ثم يورد دور سانتوس الفقرة التالية التى لم نتمكن من ترجمتها :

"... then bred by gro se Ayres, caused by the waters".

(المترجم) .

بأقدامها الضخمة بالإضافة الى أنها تتغذى عليهما (الذرة والأرز) .

الغيرة على الاناث :

وهذه الحيوانات غيورة ، ولا يتألف منها ذكران ، وإذا التقى ذكران تعاركا ، وفى بعض الأحيان ، يقتل أحدهما الآخر ، ولكل ذكر مجموعة من الاناث ، فيكون بينهما كالديك بين (البرابر) ويهرب الفرس الضعيف بعيدا عن الفرس الأقوى منه ، وإذا أنجبت إحدى الاناث أخذت أفراسها الوليدة بعيدا خوفا من أن يقتلها (زوجها) ، وتأخذ الاناث أفراسها الوليدة الى البر فيلحقنها جيدا ، ثم يمدن للنهر ويطعمنها بحليب من أثدائهن تماما كما تفعل أفراسنا . وجلود هذه الأفراس أكثر سماكة من جلود الثيران ، وجميعها ذوات لون واحد هو اللون الرمادى ash-cotoured gray ولعظمها خط أبيض الى الأسفل من الوجه وشامة بيضاء على الجبهة . وكثيرا ما يصيب المرض هذه الحيوانات فتضرب صدورهم بأرجلها الأمامية الأيسر (جمع يسرى) بعنف وسرعان ما تسقط ، وأحيانا يقوم الكافير بقتلها . وهذه الحيوانات (أفراس النهر) جسورة جدا اذا كانت فى الماء ، لكنها على البر تبدو خائفة مرتعدة ، وقد خبرت ذلك بنفسى .

صيد أفراس النهر :

ويصطادونها بنصب شراك مغطاة بأفرع الأشجار والأعشاب بين النهر وحقول الذرة وبذلك يصطادونها بسهولة ويقتلونهم ، كما يقومون - على النحو نفسه - بوضع مصيدة فى حقولهم المزروعة بالذرة ويغطون نصفها بالتراب ، وهذه المصيدة مصنوعة من الحديد ، ويبلغ طولها ياردة ، وهى مليئة بالأوتار الحديدية الحادة ، فإذا داس فرس النهر عليها لم يستطع تخليص قدمه منها ، وبالتالي يمكن قتله ، وهم

يصيدون فرس النهر أيضا وهم فى قواربهم بقذفه بأسياخ حديدية harping irons مشدودة الى القارب بجبال فاذا أصابته سحبوه وقسموا لحمه بينهم ، ويستخدمون للغرض نفسه رماحا طويلة نحيلة assagaya مشدودة أيضا الى القوارب بجبال • وأثناء رحلتى صاعدا فى نهر لوابو Luabo الى سنا sena رأيت عشرة قوارب أو اثنى عشر قاربا مشتركاً فى مطاردة أفراس النهر • ويقول الكافير ان الأسد يطارد الأيائل Deers الى النهر ، فتصبح هذه الأيائل عرضة لعدوين : الأسد من البر والتمساح من النهر ، ولما كانت قوة العدوين متقاربة (الأسد والتمساح) فان أحدا منهما لا يفوز بالغنيمة ، فيقبل الكافير فى النهاية فيتعاركون أولا ثم يستولون على الفريسة •

وعلى طول الشاطئين توجد حيوانات مفترسة كثيرة : أسود ونمور ووحيد قرن وأفيال وجاموس برى متوحش جدا وخيول برية تصل كخيولنا وألوانها حمراء ضاربة للصفرة ، وشعورها كشعور خيولنا ويسمونها الكافير امبوفوس Empophos وتوجد حمير خميرية اللون ولها قرون وأقدامها مشقوقة 1 Cloven feet ويسمونها ميروس Merus ولعومها جيدة feel ولديهم ديدان مختلفة وكثير من الحمر الوحشية zebras كالبيغال تميل رعوسها — كالبيغال أيضا — نحو رجليها الأماميتين عندما تجرى ، وأقدامها مشقوقة وهى مخططة بخطوط بيضاء يبلغ عرضها عرض اصبعين ، وشعرها ناعم وخفيف •

ويوجد أيضا كثير من النندو Nondos تشبه الأفراس الغالية (الفرنسية) الصغيرة Galician hobbies ذات لون بنى ضارب للصفار وشعورها قصيرة وخفيفة وتبدو ظهورها كأنها مكسورة ، وأرجلها الخلفية أقصر من أرجلها الأمامية •

وتوجد فى هذه الأنحاء الأيائل والأرانب البرية

وسنانير الزباد Civet Cuts والقروود الضخام والقروود المعتادة والقروود المتوحشة female monkeys التي تأتي اناثها دورة حيض شهرية كالنساء • وثمة نوع من الكلاب يسمى impumpes وتسير هذه الكلاب في جماعات بحثا عن الفرائس وهى سريعة الجرى كما أنها عضاضة ، والنوع المتوسط منها curre لا ينبج ، وظهور هذا النوع (الذى لا ينبج) حمراء ولها بطون بيضاء منتفخة ، وهى تفر من الاسنان وتركز عضاتها فى الساق والأرداف •

ولديهم نوع من الكائنات Worme (١٩) يسمونها انهازارا Inhazaras وهى فى ضخامة الخنزير وشعرها أسود وخفيف (غير كثيف) ، وفى كل قدم من قدميها الخلفيتين خمس أصابع كأصابع البشر ، أما فى قدميها الأساسيتين ، ففى كل قدم أربع أصابع بها مخالب طويلة long nails وتعيش هذه الكائنات (★) فى حفر تحت الأرض لكل منها مدخلان أو ثلاثة •

وهذه الحيوانات (الديدان ١٩٩) تتغذى على النمل فتتمد أسننتها (لسان الواحد منها يبلغ شبرين ونصف الشبر) داخل أعشاش النمل فيلتصق النمل بها ، فتتغذى به • وقد قام احد عبيدنا بقتل أحد هذه الحيوانات وأحضره الى بيتنا وشقه ولم يجد فى معدته روثا ، وإنما مجرد ريح winde لذا فان بعض الناس يظنون أنه لا يتغذى الا على الهواء • ولحم هذا الحيوان جيد ، ومذاقه كمذاق لحوم خنازيرنا - خاصة أحشاءها - لكن بغير دهن ، وأنفه طويل ونحيل ، وآذانه طويلة كأذان البغال ولا شعر له وذيله سميك ومستقيم ويبلغ طوله شبرا ويتخذ شكل المغزل distaffe عند نهايته •

(★) النمل like Conie-berries ، ولم يعرف المقصود بهذا الكائن الذى يشبه

به - (المترجم) •

السحالي :

ولديهم سعال ضخام ، رأيت بنفسى احداها وقد بلغت
الياردة ونصف الياردة طولاً ، وهى فى ضخامة فخذ الرجل ،
ولها أسنان ضخمة وحادة ولسانها أسود وله طابع وترى عند
طرفه ، ولها عضبة سامة لكن سمها غير مميت (لا يسبب
الموت) .

الأفاعى الطويلة ، والأفاعى الصغيرة :

وتوجد أفاع يبلغ طول الواحدة منها ثمانية عشر شبرا
أو عشرين شبرا وهى فى سماكة ساق الانسان ، وهى تقتل
الأغنام والماعز والخنازير والدجاج ، وسمها قاتل . وفى
مملكة بيري Biri بالقرب من مانيسا Manica توجد أفاع صغيرة
يسمونها روسا انها نجا Ruca Inhanga وهى سامة جدا حتى ان
الأشجار أو الأعشاب التى تعضها سرعان ما تذبل واذا ماعضت
عضة سريعة كائنا حيا ، فان شعره سرعان ما يتساقط وكذلك
قروته وأسنانه وحوافره (أو أظلافه) اللهم الا اذا تداركوه
بترياق ضد السم .

تسميم السهام ، ووفاة اللادغ والملدوغ :

ومن سم هذه الأفاعى الصغيرة - أنفة الذكر - يعسد
ملك بيري Biri معجوناً يستخدمه فى تسميم رعوس السهام ،
ومن غير المسموح لأحد من رعاياه فعل ذلك . واذا لدغت
أحدى هذه الأفاعى شخصا من الكافير قبض عليها بيديه وراح
يعضها بقسوة ، وبذلك يموت اللادغ (الأفعى) والملدوغ
فى يوم واحد .

الأسود والنمور :

والأسود هنا مرعبة جدا ، ولها لون بنى داكن وهى غير منقطعة ، أما the Ounce فمنقطعة وهى أضخم من الكلب السلوقى Grayhold وأطول منه ، وتشبه الى حد كبير قططنا ، وهى تفترس القطط والكلاب والماشية (٩) Cattell لذلك فان الكافير ينلقون الأبواب عليها (الماشية) كل ليلة .

الحشرات Worms :

وهناك مالا يحصى من الحشرات Worms مثل الخنافس التى تضىء ذيولها ليلا وكأنها فحم متوهج ، وهى كثيرة جدا لدرجة انها تغير كل المنطقة * وهناك الفئران ذوات العضات السامة ، ولها رائحة المسك الطيبة ، والخفافيش هنا كبيرة فى حجم الحمام ويعمد الكافير لقتلها وشيها وأكلها وللحمها مذاق كمذاق لحم الدجاج * وفى الحقول توجد السلاحف وهى كبيرة فى حجم الترس buckler وهى كثيرة اللحم ودسمة وهم يسلقونها ويجدون مذاق لحمها لذينا *

ذباب وفرشات :

ويوجد كثير من الفرشات Zangaons ، وذباب غريب التركيب وهم يجعلون الطين (الطمى) كهيئة الكرة ويلصقونها على الجدران أو يصيغون انبوبا فخاريا مليئا بالشقوب كهيئة خلية النحل ، وفى كل ثقب يضعون دودة صغيرة ، وبعض هذه الديدان أبيض ، وبعضها أسود ، وبعضها أخضر ، وبعضها رمادى ، أو أى لون آخر يجدونه ، ثم يسدون الشقوب بطمى جديد ، فتتنجب هذه الديدان فرشات Zangaons لها سيقان وأجنحة * *

الطيور :

والطيور هنا مختلفة أنواعها وبعضها ذوات ألوان فى الغابة من الجمال ، وهم يضعون بعضها فى نوع من

الأقفاص ، ولبيع الحمام هنا أجنحة ذهبية فى الغاية من الجمال ، والأوز هنا على ثلاثة أنواع وبعضه أضخم من الأوز الذى نعرفه فى البرتغال وهى سوداء الظهر، بيضاء البطن وذوات علامة حمراء فى رءوسها وهذه الزائدة الحمراء يابسة وحادة كانها قرن (★) .

والكراكى (المفرد : كركى) والبجع - وهو فى حجم الديك الرومى ، وهو - أى البجع - سميك القدمين وقصيرهما ، ويعيش فى الأنهار على السمك ، وأغربة (جمع غراب) سود وهى فى ضخامة الطواويس ، وأجنحتها سود ، ورقابها ورءوسها غير مغطاة بالريش ، وانما بقشور Dandrow وهى تنتشر على الساحل باحثة عن الجيف .

ملك الطيور :

ولديهم نوع واحد من الطيور يسمونه كروانس Curuances والواحد منها فى ضخامة الكركى Crane ، لكنه أجمل ، وظهور هذا النوع مغطاة بريش ناعم كأنه الساتان الأسود، أما صدورها وبطنها فبيض ، ويبلغ طول رقبة الواحد منها شبرين ونصف الشبر مغطاة بريش أبيض ناعم كأنه الحرير ، وعلى رأسه غطاء Cap من ريش أسود جميل جدا (كالريش الأحمر لعصافيرنا الدورية الذهبية gold finches) وفى وسط الرأس ريش طويل (كالعرف) يبلغ طوله فى الغالب شبرا ، وهو ريش أبيض ومستقيم وجميل متساو عند ذؤاباته حيث يتخذ بعد ذلك شكلا دائريا كعيش الغراب الأبيض (المشروم) بساق بيضاء . ليصبح كالقبة عريضة الحافة Sombrero ، ويطلق عليه الكافير اسم ملك الطيور لأن ملوكهم يضعون غطاء لرءوسهم مثل هذه السميريرو ، ولأنها طيور عظيمة وجميلة .

(★) من الواضح أنه يقصد البط - (المترجم)

طير يخطف قردا :

وقد أخبرنى برتغالى فى سوفالا Sohalah انه بينما كان ذاهبا الى أرض (بلاد) مامبونى Mambone طلبا للعلاج فى الجانب المواجه لجزر بوسيا Bocias كان معه قرد مقيد بسلسلة الى ثقل يزن عشرة أرطال أو اثنى عشر رطلا ، وبينما كان هو بالخارج (أى هذا البرتغالى) أقبل طائر ضخم من أكلة الفرائس ، فقبض بمخالبه على القرد وطار به وبالثقل المربوط اليه (أى المربوط اليه القرد) والتهمه غير بعيد كثيرا عن موضع اختطافه ، وقد وجد البرتغالى فيما بعد السلسلة والثقل الذى كان يربط قرده اليه *

وقد أخبرنى هذا البرتغالى أن فى هذه المنطقة كثيرا من هذه الطيور الضخمة الجارحة تلحق أذى بلىنا فتخطف الأطفال والماعز والغنازير والدجاج *

آكل العسل :

وهناك نوع من الطيور كطيور الكنارى الا أن ذيلها طويلة ، وتميش على الشمع وتبحث عن خلايا النحل فى البرارى حيث يوجد كثير منها على الأرض وفى تجاويف الأشجار ، فإذا وجدت أحداها طارت الى الطرق العامرة بالناس لتدل الناس المارين عليها ، بأن تطير أمامهم مصفقة بأجنحتها ومتنقلة من غصن الى غصن حتى تصل بالناس العابرين الى موضع الخلية ، والناس الذين يعرفون عادات هذه الطيور يفهمون مرادها يتبعونها ويستخرجون الخلية ويأكلون منها فتشاركهم هذه الطيور فى آكل العسل والشمع ، والنحل الميت بالتالى * ويسمون هذه الطيور سازو Sazu . وقد رأيت هذه الطيور غالبا ما تدخل كنائسنا وتاكل الشمع وقد أمسك الصبية ببعض منها *

الطيور الزارعة :

وشمة نوع آخر من الطيور تعيش على فاكهة تزرعها بنفسها فهي تحفر بمناقيرها الحادة ثقباً وحفراً فى أعلى الأشجار عند أصول الفروع (حيث تبدأ الفروع فى النمو) وتضع فى هذه الثقوب والحفر بذرة الفاكهة التى تأكلها ، وتنمو وتغطى نفسها بالمادة اللزجة glue ، وتنمو كفروع الشجرة الأصلية ، ومنها تتغذى هذه الطيور (أى من البذور التى زرعتها بنفسها) * وهذه الطيور رمادية وتشبه طائر غراب الزيتون Jack-dawes .

طائر لا يخطو على الأرض :

وشمة طائر يسمى منجا Minga جميل جدا ولونه أخضر وأصفر وهو يشبه الحمامة ، لا يطا الأرض أبداً فأرجله قصيرة جدا ولا يكاد يميز ويعيش على أشجار الفاكهة فاذا رغب فى الطيران هبط بجناحين غير مفرودين (مبسوطين) ثم يبسطهما فى الهواء وإذا أراد الشرب طار على سطح الماء فاذا سقط على الأرض لم يستطع الطيران بعد ذلك ، وهو طائر دسم ومذاق لحمه جيد ، ويقال أنها هى طيور السنسو Cincoe التى تعيش على الندى فى المكسيك والتى يصنع من ريشها الجميل أعمال فنية * .

الأسماك :

وينزر نهر سوفالا بأسماء دسمة ولذيذة ، مثل البورى Millete والنيدل (لشبهه بالابرة) needle والدلافين .. الخ وشمة نوع غريب من الأسماك فى هذه الأنهار يسمى البرتغاليون تريميدور Tremedor ويسميه الكافير ثنتا Thinta ، ووجه غرابته أن الانسان لا يستطيع لمسه وهو على قيد الحياة (أى السمك) فهو يسبب رعدة شديدة لكل

عضو فى الانسان ويجعل مفاصل الانسان تبدو وكأنها متباعدة تكاد تتمزق ، لكنه اذا صار كآى سمك آخر ، ولحمه لذيد ، ويقول الجيليون ان جلد هذا السمك يستخدم فى أعمال السحر ، ويستخدمونه علاجا للصفراء والحصوات الارارية Cholic (؟) بأن يشوى ويجفف ويسحق ويضاف للمنبذ ويشرب * وطول أكبر سمكة من هذا النوع شبران ونصف الشبر ، وجلدها أسود وسميك وغير ناعم .

وثمة سلالة أخرى من الأسماك فى البحيرات تسمى ماسون Macone تشبه الى حد ما سمك الشلق (بتشديد الشين وكسرهما ، او بفتح الشين واللام) Lamprey وبه ثقب عند الرقبة (كذا !) ومنقطة كعثبان البحر * وعندما تجف البحيرات صيفا ، يعتمد هذا السمك الى حفر حفر فى القاع يبلغ عمقها شبرا ويضع ذيله فى فمه ويدفن نفسه فى هذه الحفرة ، ويتغذى على أكل ذيله حتى يأتى موسم المطر وتتملىء البحيرة ، فينمو ذيله من جديد كما كان * ويصطاده الكافير بالحفر فى قيعان البحيرات وكنت غالبا ما اكل منه ، وتمتلىء البحيرات بالمياه شتاء ويأتياها من الانهار نوع واحد من الأسماك يسمونه انكساقوس Enxavos وتعيش الخنازير Hogs على الأكل منه ، أما سمك المميون Mimune فلا يطيقه الا الكافير فهم يأكلونه ويخزنونه ويدخنونه ويدخرونه كمؤونة للعام كله ، رغم شدة رائحته *

التمساح :

يبلغ طول التمساح عشرين شبرا وخمسا ، وهو أغلظ من الرجل * جبان على البر ، وعنيف قاس فى الماء * جلده أخضر ومبقع ببقع صفراء داكنة وبقع أخرى رمادية وسوداء وأسنانه مشرشرة ، ولا لسان له ، ويسميه الكافير Goma وتضع الأنثى بيضها على الشاطئ وتدفننه فى الرمال ، فتدفنه الشمس ، وغالبا ما يعثر الكافير على هذا البيض فيكسرنه ويأكلون فريستهم ، وهم ينمسون كل قطعة

فى الماء ليساعدهم على بلعها ، وأكباد التماسيح سامة ، لذا فان الكوييتيف يمنع تعريضها للألم أثناء الصيد ، ويقول بعض الكافير ان احد فصوص الكبد فقط هو السم ، أما الفصوص (الفلقات) الأخرى فترياق للسم ، وتستلقى هذه التماسيح صباحا ومساء على الرمال وقليل منها يخرج من الماء وقد فغر فمه الذى تجذب رائحته الكريهة الطيور التى تأتى لتلتقط الأقدار حول عينيه ومنخاره ، بل وتنهى عملها بالتقاط الأقدار من بين أسنانه ، وتنمو الطحالب على رءوس التماسيح كبيرة السن .

كيف يصطاد الكافير هذه التماسيح ؟

ويصطاد الكافير التماسيح عن طريق قطعة لحم كبيرة وضعوا داخلها قطعة خشب كبيرة يبلغ طولها شبرين على ان تكون قطعة الخشب هذه قوية ومستقيمة ، ويغمرون قطعة اللحم وما يداخلها من خشب فى الماء ، فيأتى التماسيح ليزدردوا ، فيسحب الواحد من الكافير حبله ويجذب التماسيح الى الشاطئ وقد فغر فمه ولا يستطيع اغلاقه لأن قطعة اللحم المظلمة بالخشب تقف فى حلقه فلا يستطيع اغلاق فمه ولا يستطيع بالتالى قطع الحبل فيمتلئ جوفه بالماء ، وبهذه الطريقة يسحبه الكافير للشاطئ ويأكلونه .

رائحة التماسيح :

وتنبعث من التماسيح رائحة نتنة جدا ، وبينما كنت ومعى آخرون نمر بالنهر من ماروب Maroup الى سوفالا Sofala ، أغلقنا فتحات أنوفنا لفرط الريح النتن ، فضحك الكافير وقالوا انه ريح التماسيح الذى يعبق الجو فى المنطقة كلها .

وعلى طول النهر تنمو أعشاب معينة يسمونها ميكيريرى Miciriri يعتقد الكافير أنهم ان تحصنوا بها عندما يذهبون للصيد فان التماسيح تكون غير قادرة على ايناثهم ، وهم لا يجرون على النزول للنهر دون استخدام عصير هذه

الأعشاب ، وهم يجربون هذا العصير قبل استخدامه بوضعه على رؤوسهم فإذا أصبحوا غير قادرين على مضغ أى شئ كان هذا دليلا على أن العصير جيد ويحقق غرضه .

وينمو القطن وقصب السكر على طول النهر وهم يزرعونه بدفنه على كلا جانبي (العقلة)
they sow for back and belly وينمو فى هذه المنطقة كثير من الأعشاب الطبية خاصة فى جبل لوباتا Lupata اذ تنمو الدورادينى البرية Wild Douradinha أو أخشاب الجلت Guilt wood والأجبال البرية Wild Aguila وهى حلوة المذاق جدا ، والكانا فستوليا Cannafistolia وغيرها من الأعشاب التى يطهر الكافير بها أنفسهم ، وثمة أعشاب أخرى لوقف النزيف وأخرى للجروح ، وهى ذوات تأثير واضح ، وثمة أعشاب تثير فى أكلها البهجة والفرح .

عن جبال لوباتا :

وتمتد جبال لوباتا هذه من منتصف الطريق من سنا sena الى تيت Tete لمسافة ستين فرسخا فى اتجاه منابع النهر (للداخل) وتبعد عن البحر تسعة عشر فرسخا ، وهى مرتفعة جدا ، وشديدة الانحدار وممتدة لذا فان الكافير يسمونها العمود الفقرى للعالم ، وقد ألان نهر الزمبىزى قلبها القاسى فجعل من السهل عبورها ، وفى بعض المواضع تبسدى هذه الجبال قسوتها بانحدارها العنيف ، وفى مواضع أخرى تملؤها النتوءات beetles معبرة بذلك - أى هذه الجبال - عن سخطها العابس كما لو كانت تريد أن تسقط نتوءاتها هذه على الأعداء فتسحقهم سحقا ، اذ لن ينجيهم هروبهم الى الشاطئ فالجبال تحفه وتبسدى له نظرة غضبى - واقتراب الجبل من النهر يجعل التيارات المائية عنيفة كأنها تتصارع لا مع نفسها فحسب وانما أيضا مع القوارب والتجار الذين يسلكون هذا الطريق ، فالكل يحس بالرعب مخافة أن تبتلعهم وبضائعهم - أى هذه التيارات .

وسنا Sena قلعة من صخر وحجر جبرى ، وهى مزودة
 بالمدافع وقد عين قائدها قبطان موزمبيق Captayne
 Mosambique وكان فيها على أيامى ثمانمائة مسيحي خمسهم من
 البرتغاليين * ويقع جبل شبرى Chiri على بعد سبعة فراسخ
 أو ثمانية من هنا على الجانب الآخر من النهر ، ويمكن رؤية
 هذا الجبل - لفرط ارتفاعه - على بعد عشرين فرسخا ،
 والجبل والوادي يتسمان بالخصوبة ويأتى الناس من تيت
 Tete الى سنا لشراء البضائع بالذهب *

أما تيت Tete فهى قلعة حجرية تبعد ستين فرسخا الى الداخل
 (تجاه منابع النهر) فى مملكة تسمى انها باز Inhabaze
 وهى أدنى من مملكة ماناموتابا Manamotapa ، وقد عين
 كابتنها (قائدها) قبطان موزمبيق * وكان فى تيت Tete
 على أيامى ستمائة مسيحي ، كان من بينهم أربعون برتغاليا *
 وهذه المائة فرسخ والعشرون فرسخا قد عرفها البرتغاليون
 وأبحروا فى النهر صاعدين حتى اكتشفوها ، وبعد هذه
 المسافة كانوا يسافرون برا للوصول الى البضائع التى
 يريدونها * والمنطقة خصبة جدا ويبيع البرتغاليون هنا
 بضائعهم بأثمان باهظة * ومن تيت يتوغلون كثيرا فى مملكة
 ماناموتابا حتى يصلوا الى أسواق ماسابا Massapa
 ولوانز Luanze ومانزوفو Manzovo فأهل سنا Sena
 يمتلكون فى هذه المدن آنفة الذكر مساكن ومخازن *

ماسابا :

وتعتبر ماسابا هى السوق الرئيسية وفيها يقيم القائد
 (القبطان) البرتغالى الذى يعتمد الماناموتابا ، ويعتبره
 الماناموتابا بمثابة زوجته الأساسية his great wife وهو لقب
 يعنى التشريف لحامله كما سبق أن أوضحنا * ويتمتع الكابتن
 البرتغالى فى ماسابا بكافة السلطات القضائية على السكايفر
 والبرتغاليين على نحو سواء دون أن يكون لهم حق الاستئناف ،

فهو يتمتع بكل السلطات الممنوحة لنواب الملك . ويتمتع القادة (البرتغاليون) الآخرون بالصلاحيات نفسها فى المناطق (الممالك) الأخرى فى هذه الأنحاء . ويقوم القبطان (القائد) البرتغالى فى ماسابا بكل الأعمال التجارية مع الماناموتابا الذى يعد أيضا أحد زبائنه ، ويقدم له ثوبا من بين كل عشرين ثوبا يجرى التعامل فيها ، وبهذه الطريقة. أصبحت المنطقة مفتوحة لتجارة البرتغاليين . ولكن بعد ماسابا Massapa وفى المناطق الأقرب للماناموتابا Manamotapa (٥٢) لا يجوز لأحد أن يمضى بغير ترخيص يمنحه إياه الملك أو القائد البرتغالى (الكابتن أو القبطان) ، والقائد البرتغالى يحمل معه رمحا عموده أسود وله رأس ذهبية كشارة لسلطانه وان الملك قد اعتمد صلاحياته .

ويدفع كابتن (قائد) موزمبيق عند دخوله للماناموتابا ثلاثة آلاف كروزادو Cruzados مقابل تخويله حق القيادة Captayne-ship لمدة ثلاث سنوات وحق التجارة الحرة فى المنطقة مع رعاياه ، وبذلك يضمن أن يسير مخملا بالذهب والا كان عرضة للسلب ، فلم يعرف أبدا أن البرتغاليين تعرضوا لسلب ذهبهم طالما كانوا يحملون ترخيصا من الملك .

ومملكة ماناموتابا Manamotapa تقع فى موكارنجا Mocaranga ، وكانت هذه المملكة فيما مضى امبراطورية ماخاموتابيه ، الا أنها الآن قد انقسمت الى أربع ممالك : مملكة المانا موتابا ، ومملكة الكويتيف Quiteve والثالثة هى مملكة السيداندا Sedanda والرابعة هى مملكة الشيكانجا Chicanga . وكان الامبراطور الماناموتابى هو الذى أجرى هذا التقسيم فقد كان غير راغب - أو غير قادر - على حكم مناطق شاسعة مترامية الأطراف فأرسل ابنه الكويتيف ليحكم المنطقة الممتدة من على نهر سوفالا ، كما أرسل ابنه الثانى سودندا Sodanda للمنطقة التى يجرى بها نهر سابيا Sabia الذى يصل البحر (المحيط) قبل بوكياكاس

Bociacas ، كما أرسل شيكانجا Chicanga ليعحكم أرض مانيسا Manica ، ولم يعلم هؤلاء الثلاثة بعد موت أبيهم - أخاهم ولى العهد (المستحق لوراثة عرش أبيه) . واستمرت الحرب بينهم ودامت فى ذريتهم . وحتى الآن فان مملكة الماناموتابا أكبر من الممالك الثلاث الأخرى . ويطلق الكافير على هذه الممالك جميعا اسم الموكارانجا Mocaranga لأنها جميعا تتحدث لغة الموكارانجا Mocaranga Tongue .

ويبلغ طول مملكة الماناموتابا ما يزيد على مائتى فرسخ ، أما عرضها فأقل من ذلك بقليل . وإلى الشمال الغربى تشترك مع مملكة أبوتوس Abutus فى خط حدود (ملك مملكة أبوتوس اسمه أيضا أبوتوس - الملك والمملكة لهما اسم واحد) ويقولون ان مملكة أبوتوس هذه تمتد داخل القارة حتى حدود أنجولا . وقد رأيت فى سوفالا Sofala بضائع اشتراها البرتغاليون فى مانيسا Manica كان الكافير قد جلبوها من أبوتوا Abutua وكانت هذه البضائع بدورها قد تم جلبها من البرتغال عن طريق أنجولا . وفى مملكة أبوتوا Abutua يوجد ذهب كثير من نوعية راقية ، لكن لبعد مناجمه عن البرتغال فان البحث عن الذهب فيها قليل . وفى شرق ماناموتابا حيث نهر الزمبيزى الذى يسميه الماناموتابيون باسم امباندو Embando توجد ثورة ضد الملك لأنهم يقولون ان الملك يجب أن يحكم ضفتى النهر حتى لا يتمكن أعداؤه من العبور . وفى الجنوب الغربى (الصحيح الجنوب الشرقى - ناشر النص الانجليزى) تمتد هذه المملكة حتى المحيط وتمتد داخله بلسان تبلغ مساحته عشرة فراسخ أو اثنى عشر فرسخا من نهر لوابو Luabo الى تاندانكولو Tandanculo . وبقيّة الأرض الى الجنوب من نهر انها نابين Inhanabane مقسمة بين الممالك الثلاث التى يعمرها التمرد كما يقال . ومن تاندانكولو Tendanculo الى سوفالا Sofala يمتد حكم الكويتيف الى الجنوب من ذلك توجد مملكة سابيا Sabia التى يحكمها سيداندا والذى

يعتبر سيدا أيضا لبلاد بوتونجا Botonga إلى منطقة انهامبين
Inhambane ، وتوجد مملكة ماسينا Manica التي يحكمها
شيكانجا Chicanga بين المملكتين عند أطرافهما وهى تبعد
عن البحر المحيط من ناحية الشمال الغربى بضع مئات من
الفراسخ (المقصود الشمال الغربى لمملكته) • وإلى الشمال
من مانيسا Manica توجد مملكة أبوتوس Abutus

والى الشمال الشرقى توجد المانا موتابا Manamotapa
والى الجنوب يوجد ملك اسمه بيرى Biri • وهؤلاء الملوك
الثلاثة المتمردون لهم شأن كبير ، الا أن الكوييتيف هو أعظمهم
وأغناهم لتجارته مع البرتغاليين فى الأقمشة والخامات
والخرز (ويمد الخرز ثروة بالنسبة للكافير) كما أن شعبه
هو الأقوى بين الموكارانجا Mocarangas والأكثر خبرة فى
استخدام الرماح والسهام والأقواس •

وبالقرب من ماسابا Massapa يوجد تل عظيم يسمى
فورا Fura ومنه يمكن تمييز جانب كبير من مملكة
ماناموتابا ، لذا فانه ليس من الصعب أن يصل اليه أى
برتغالى ، لذا فليس هناك مبرر فى أن يطمع البرتغاليون فى
هذه المملكة أو مناجمها ما دامت متاحة لهم •

مبان غامضة فوق تلال فورا

هل هى تلال أوفير Ophir التى أشارت لها التوراة ؟ :

وفوق قمة تل فورا لا تزال ظاهرة للعيان بقايا أسوار
قديمة وآثار خرائب من أحجار جيرية وصخور مما يشير الى
وجود مبان قوية فى وقت مضى وهو أمر غير مألوف فى كل
بلاد الكافير (كافراريا) فحتى بيوت الملوك مشيدة من
أخشاب وطين ومغطاة بقش • وأهل البلاد خصوصا من
المسلمين يروون عن أجدادهم أن هذه المساكن الحجرية كانت
للملكة سبا Saba التى نقلت كثيرا من الذهب من هنا وحملته
السفن على طول ساحل شرق أفريقيا ومن ثم الى البحر الأحمر •

ويقول آخرون ان هذه المباني كانت تخص سليمان (عليه السلام) وأن تلال فورا Fura أو أفورا Afura هذه ليست سوى أفير Ophir (التى أشارت إليها التوراة) ، وفورا أو أوفيرا لا يبعد كثيرا من ناحية اللفظ عن أوفير رغم مرور هذا الزمن الطويل . وبالفعل فان حول هذا الجبل ذهباً وافراً ومن نوعية جيدة . .

وفى كل مناطق ماناموتايا Manamotapa أو فى غالب مناطقها على الأقل توجد مناجم ذهب كثيرة خاصة فى شيرورو Chiroro حيث يوجد أكبر كمية منه وأجود أنواعه .
وهم يجمعونه للكوييتيف ، ويحكم بالموت على أى مسلم Moore ان اكتشف منجماً وأخذ ذهباً لنفسه ، وإذا اكتشف أحدهم منجماً للمذهب بالصدفة فان عليه أن يصيح بأعلى صوته حتى يسمعه أحد الكافرين ويأتى اليه ، ليؤكد له أنه لم يأخذ شيئاً من الذهب لنفسه ، وعليهما (المكتشف والشاهد) أن يغطيا المنجم بالتراب وأن يعلماه بفنصن يفرسانه عليه كعلامة تحذير للكافرين الآخرين ألا يقتربوا من هذا الموضع لأنهم اذا اقتربوا فقدوا حياتهم رغم عدم وجود بيعة على أنهم أخذوا من الذهب شيئاً . وهذه الصرامة الشديدة جعلت مناجم الذهب بعيدة عن علم البرتغاليين ، فأى تطفل قد يؤدى الى طردهم من المنطقة .

عن الماناموتابا Manamotapa

عاداته ورعاياه

ورغم أن الماناموتابا أعظم من هؤلاء الثلاثة أنفى الذكر ، فإنه لا يتبعه ملوك آخرون أو حكام مرتبطون به بضرورة دفع عشور أو ما شابه ذلك ، كل ما فى الأمر أن بعض رعاياه يطلق عليهم انسوس Encosses أو فيموس Fumos وهم بمثابة سادة عظماء Great Lords ولكل منهم - بدوره - رعايا مقيمون مستأجرون Tenant Subjects لذا فإن المعلومات التى قدمها بوتيرو Botero ، وجسمان Gusman وأوسوريوس Osorius معلومات خاطئة عندما اعتبروا مناطق ساحلية شاسعة تخضع لحكم ملوك تابعين للماناموتابا Manamotapa فأنا أشك فى وجود تبعية كالتى أشاروا اليها ، أو أن ذلك هو الوضع القائم الآن - على الأقل - أما فيليب بيغافتا Philip pigafeita فقد حصل بدوره من خلال علاقاته مع لوبيز Lopez على معلومات خاطئة عن هذا الساحل وتلك الممالك ، وراح يقص علينا حكايات طويلة عن الأمازونييات Amazonas مما لا وجود له هنا الآن ولا كان له وجود فى زمن مضى . وقد حكوا أيضا عن رايات (أو شارارات) ملكية Royall Ensignes : مسحة من ذهب برأس من العاج إشارة الى أهمية الزراعة وضرورة العناية بها ، وسهمان يرمزان الى العدالة التى يصر على تحقيقها ، وأنه يكون مصحوبا دائما بالجنود ، لكن كل ما سمعوه كان خداعا ، وبالتالى فإن المعلومات التى قدموها

هى معلومات خادعة • فبالنسبة للسهام والأقواس فهى من الأشياء المعتادة عند الكافير كما هى عند البرتغاليين ، أما بالنسبة للسيوف فلا أحد منهم يخرج من داره دون سيف وينطبق الشيء نفسه على الماناموتابا Manamopata فهو يحمل فى يده القوس والسهم وكذلك يفعل الكافير المصاحبون له ، فتلک عادة كل الناس وليست قصرا على المحاريين وأمامه (أى أمام الماناموتابا) رجل من الكافير يحمل طبله ضخمة يدق عليها دلالة على أن الملك موجود • وعندما لا يحمل الماناموتابا قوسه فان عسكريا (ضابطا) يطلق عليه اسم ماسكوريرا Mascorira يقوم بحمله نيابة عنه ، بينما يحمل الملك رمحا طويلا نحىلا Azagay من خشب أسود وله رأس من ذهب كالرأس الحديدى للرمح أو ثلاث قطع من الخشب يطلقون عليها فيمبوس Fimbos يبلغ طول القطعة منها شبرين ونصف الشبر وهى مزخرفة ونحيلة • وعندما يتحدث (أى الماناموتابا) مع رجل من الكافير محكوم عليه بالموت فانه يترك احدى هذه الأخشاب (الفيمبوس) لتسقط ، فيقوم مسئول التنفيذ بالتقاطها وقتل المحكوم عليه بالرمح ، وهكذا يلقى المذنب حتفه •

وللماناموتابا نساء كثيرات ، والمرأة الأساسية فيهن تسمى المازاريرا Mazarira وهى تحظى باحترام وتوقير أكثر من الأخريات ، وهى أخته على الحقيقة • وهى صديقة عظيمة للبرتغاليين فعندما يقدم البرتغاليون الكوروا Curua للملك يقدمون لها هدية من قماش ، ولا يستطيع أى شخص أن يتحدث الى الملك أو زوجته الرئيسية دون أن يقدم هدية (دون أن يقدم بين يدى نجواه هدية) (٥٣) ، أما البرتغاليون فيقدمون الخبز ، وأما الكافير فيقدمون Kine أو الماعز أو الملابس وإذا لم يكونوا قادرين على تقديم شيء من هذا القبيل قدموا جوالا مليئا بالتراب دلالة الخضوع أو حزمة حطب أو قش لاستخدامها (الأتربة والحطب والقش) . فى ترميم أسقف منازل الملك • فكل أسقف منازل كافرارا (بلاد الكافير) Cafraria مسقوفة •

والماناموتابا الحاكم الآن يسمى مامبو Mambo ، وقد

اعتاد أفراد رعيته أن يقسموا بحياته قائلين Xe Mambo وعندما يتحدثون اليه يقولون Xe Dico وهو قول يعنى يا صاحب العظمة * وأطفال الملك يسمون مانامبو Manambo وقد أذن لرجال ديننا المسيحى بأن يحولوا الناس للمسيحية وأن يبنوا الكنائس ، وقد تم بناء ثلاث كنائس بالفعل فى ماسابا Massapa ولوانز Luanze وبوكوتو Bucutu ويعيش عدد كبير من البرتغاليين فى هذه المناطق آنفة الذكر .

وهم هنا يتحدثون بلغة الموكارانجا Mocaranga tongue وهى أفضل لغات الكافر ، فبينما نجد المسلمين الأفريقيين أو القادمين من شبه الجزيرة العربية يتقعون فى حديثهم (يسحبون الكلمات من حلقهم) كما لو كانوا يتقيأون فاننا نجد المتحدثين بلغة الموكارانجا ينطقونها من أطراف ألسنتهم وشفاهم ، وبذا ينطقون كلمات كثيرة فى صوت كالصفير ، وتبلغ لغتهم حدا كبيرا من الأناقة كما سمعتها من حاشية الكوييتيف Quiteve ومن الماناموتابا Manamotapa عندما تحدث * ويشيع فى لغتهم التشبيه والاستعارة وهى تشبيهات واستعارات تتناسب مع أغراضهم .

ويضع الماناموتابا - وكذلك كل فرد من أفراد رعيته - جوهرة بيضاء فى مقدمة الرأس - وللماناموتابا جوهرة أخرى عظيمة على صدره ، ويسمون هذه الجواهر أندوروز Andoros ، ويكره الكوييتيف Quetive هذه الجواهر باعتبارها تميز الماناموتابا ورعيته * ولا يقص الماناموتابيون شيئا من شعورهم أو لحاهم ومع هذا فقليلون منهم ذوو لحى طويلة كثة ، ويرجع ذلك الى أن شعورهم بطيئة النمو ، ولا تشيب شعورهم حتى اذا بلغوا من العمر عتيا * وبشكل عام فان الواحد منهم يبلغ عمره التسعين عاما أو المائة * وهم يستخدمون العرافة والكهانة Auguries and Divinations ويعقدون اجتماعات مع الشياطين Devils التى تكذب عليهم

وتهيمن على تصرفاتهم * ويقولون ان للمناموتابا منزلا يشنق فيه المدانين ويعلقهم ويجمع ما يتساقط منهم من ماء فى أنية ويتركهم حتى يجفوا وتكف جثثهم عن انزال السوائل ثم يدفنتهم بشكل جماعى، ويقولون انه يصنع من هذه السوائل المتساقطة حجابا (أو طليسا Oyntment) ضد السحر ، ولضمان العمر الطويل أيضا * ولديهم خرافات أخرى كثيرة *

وقد أرسل دوم جورج منيسين Dom George Meneses الى المناموتابا كلبا سلوقيا grey hound جميلا ، وقد أحبه المناموتابا حبنا وقربه اليه وأوصى انه اذا مات (أى المناموتابا) قتلوا هذا الكلب بالاضافة لخروف صغير كان قد أشرف على تربيته بنفسه - ودفنهما معه ليخدماه فى العالم الآخر * وقد تم تنفيذ ذلك بالفعل ، وتناولت الملكة (زوجته) السم (وفقا للتقاليد المتبعة) لتخدمه هى الأخرى فى العالم الآخر ، ومعظم عادات رعايا المناموتابا هى نفسها العادات التى ذكرناها آنفا عند الحديث عن الكويتيف ، فلا داعى لتكرارها *

التعليقات

(١) Eric Axilon (Co.) South African explorers, Selected and introduced by Eric Axilon. London, 1854.

(٢) من ذلك قانون صدر سنة ١٥٠٤ يحرم حمل الخرائط التي تشير الى طريق الملاحة جنوبى الكنفو الى الهند • شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، القاهرة ، الإنجلو ، ١٩٨٠ ط ٢ • ص ١٧٦ •

عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى افريقيا • القاهرة ، ١٩٥٩ ص ٧١ •

(٣) Eric, op. cit., p. 1.
وكان اسمه المتداول بين الناس هو دور مانويل • (المترجم)

(٤) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام • ص ٢٣٩ •

(٥) روم لاندو : الاسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ •

(٦) انظر ص ٤٤ من هذه الترجمة •

(٧) يمكن معرفة مزيد من التفاصيل عن محاولة كتلكة الحيشة والقضاء على الأورثوذكسية الشرقية فى : شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها • ص ١٨٠ •

(٨) بالنسبة للتحالفات فى هذه الفترة ، نجدها تخالف تماما خرافة برستر جون فقد تحالف البنادقة مع المالك ضد البرتغاليين ، فاشتركوا معا فى معركة ديو البحرية سنة ١٥٠٩ ضد البرتغاليين فى المحيط الهندى ، حقيقة أن البرتغال قد انتصرت عليهم انتصارا حاسما ، لكن ذلك لم يكن بمساعدة برستر جون ، وانما لأسباب علمية موضوعية ممثلة فى تفوق الأسطول البرتغالى •

(٩) بعد الوصول للهند وتأكد القوى الأوروبية أو على الأقل تأكد للعامة من الناس خرافة برستر جون ، لم تعد المؤسسات التى توجه

العقول بالخرافة والنصوص القديمة حيلة ، فنحن نجد رحالة آخر يعمل لحساب البرتغال فى الفترة ذاتها تقريبا (١٥٠٢ - ١٥٠٩) يحاول أن يقطع أهل الهند أن أجراس الكنائس - التى لا يرون من يقرعها لأنه كما هو معلوم يكون فى موضع آخر ويجذب الحبال التى تحرك الأجراس - تقرر بمفردها دون مساعدة من أحد بفعل قوى غيبية ، بل ويكتب لقرائه الأوربيين أن الاله (سبحانه) قد تجلى أو ظهر متجسدا فى الهند ليحارب مع البرتغاليين ، وبطبيعة الحال ، فإن المثقفين من مختلف الأديان لا يقبلون مثل هذا الكلام بارتياح .

راجع ترجمتنا لرحلة فارتيما (الحاج يونس المصرى) القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب - سلسلة الألف كتاب الثانى العدد ١٢٤ ، ١٩٩٤ .

(١٠) لدينا مثال صارخ على هذا من كتب الرحالة أيضا ، فقد زار الرحالة الشهير بوركهارت منطقة الحجاز فى الفترة من ١٥ يوليو ١٨١٤ الى ٢٥ مايو ١٨١٥ وقد رصد شعور المسلمين فى هذه المنطقة وغيرهما ازاء الوجود البريطانى فى الهند . وكان شعورا معاديا بطبيعة الحال ، وكان المسلمون فى الحجاز يقولون « الكافر فى الهند » أو « الكفرة فى الهند » وهم يقصدون الانجليز . فكانت كلمة كافر بما تحمله من مضامين الكراهية تعنى الانجليزى ، بل وكان هناك اتجاه لشن حرب جهاد ضد الانجليز .

وبعد أقل من نصف قرن نجد رحالة آخر هو رتشارد بيرتون يزور المنطقة نفسها وهى الحجاز سنة ١٨٥٢ وقد رصد بيرتون الشعور فى هذه المنطقة ازاء الانجليز فى الهند . ويعجب الانسان من هذا التحول البعيد المدى ، فقد سأل واحد من أهل الحجاز الحاج عبد الله (بيرتون) عن أوضاع « اخوانا الانجليز » فى الهند ، فلما أكد له بيرتون (الحاج عبد الله) أن أوضاعهم مستقرة قال الرجل : « الحمد لله » . ويفسر بيرتون ذلك بأن هناك رواية اسلامية شاعت فى هذه المنطقة (الحجاز) ومنطقة البحر المتوسط مؤداها أن الانجليز أرسلوا للرسول صلى الله عليه وسلم مبعوثا يقول أن الانجليز يريدون ارسال وفد لرسول الله للدخول فى الاسلام ، ووافق الرسول وتم ارسال الوفد ولكنه وصل بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) فالانجليز وإن كانوا لم يدخلوا الاسلام الا أنهم يحترمون النبى (صلى الله عليه وسلم) ويجلوونه ولو أن الوفد وصل أثناء حياته لدخلت انجلترا فى الاسلام . ان الغرض السياسى واضح من الرواية . والمسألة من الذى يثبت مثل هذه الأقوال ؟ ويؤكد لنا بيرتون أن هذه الأقوال كانت شائعة بين المسلمين فى منطقة البحر المتوسط وفى الحجاز . انها المنافسة الأوربية لكسب الرأى العام فى العالم الاسلامى .

وكان كاتب هذه السطور يسمع من بعض الفلاحين كبار السن في
السبتيات أن الانجليز من أحفاد الحسين رضى الله عنه ، ولا ينتظر منا
القارئ بطبيعة الحال أن نفند ذلك ، وإنما نريد أن نثير مسألة أن بعض
الجهات تبث أو تثير بعض الأفكار الغيبية رغم بعدها عن كل منطق
وحقيقة إلا أنها تؤثر على نحو أو آخر في الرأي العام . ويبقى القول
أن تاريخ الأفكار يعتبر فرعاً مهماً من الدراسات التاريخية لم يلق
الاهتمام الكافي .

— عن الرأي العام ضد الانجليز في الهند في مطلع القرن التاسع
عشر راجع : رحلات في شبه الجزيرة العربية تأليف جون لويس
بوركهات ، ترجمة عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ
بيروت ، دار الرسالة ، ١٩٩٢ .

— عن الرأي العام لصالح الانجليز في منتصف القرن التاسع عشر
راجع :

Burton, Richard : A pilgrimage to Al-Madina & Mecca. Vol. 2.

ومما يذكر أن الترجمة الكاملة لهذه الرحلة المهمة تحت الطبع في
الهيئة المصرية العامة للكتاب . (ترجمة د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ —
سلسلة الألف كتاب الثاني) .

Eric Axilon: South African explorers, London, 1954, p. 1. (١١)

(١٢) شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها . صص
١٦٥-١٦٦ .

(١٣) ورد في « البرق اليماني في الفتح العثماني » وهو عن تاريخ
اليمن في القرن العاشر الهجري في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين
لذلك القطر « تأليف قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي (٩١٧ هـ)
٩٩٠ هـ » أنه « وقع في أول القرن العاشر الهجري من الحوادث الفواح ،
دخول البرتغال (المقصود البرتغال) اللعين ، من طائفة الافرنج الملاحين ،
الى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبته في البحر
ويلجئون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال القمر (يضم
القاف وتسكن الميم جمع أقمر أى أبيض) ، وهى مادة أصل بحر النيل ،
ويصلون الى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، فى مضيق :
أحد جانبيه جبل والجانب الثانى بحر الظلمات فى مكان كثير الأمواج
لا تستقر فيه سفائنهم وتنكسر ولا ينجو أحد ، واستمروا على ذلك مدة
وهم يهلكون فى ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند الى
أن خلس منهم غراب (سفينة) الى الهند ، فلا زالوا يتوصلون الى

معرفة هذا البحر الى ان دلهم شخص ماهر يقال له احمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له (الى ملندى) وعاشره فى السكر فعلمه الطريق فى حال سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا فى البحر ثم عودوا فلا تتألكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا فى بحر الهند ٠٠٠ » ٠

ويحتاج هذا النص لبعض التوضيحات :

— المقصود بالبرتقال هو البرتغال الدولة المعروفة ، ونعتقد ان هناك خطأ طباعيا فى كتابتها بالعامة والصحيح هو البرتقال (بالقاف) لأن أبناء الخليج وبعض المناطق الأخرى فى العالم العربى يخلطون بين الغين والقاف ويستخدمونها على نحو تبادلى أى تحل احدهما محل الأخرى سهم يقولون البرتغال (بالغين) ويقصدون والغاكهة المعروفة ، والبرتقال (بالقاف) ويقصدون البرتغال الدولة المعروفة — لكن هذا الابدال اللغوى بين الغين والقاف بدأ يختفى مع انتشار التعليم ٠

— لا بد ان هناك خلطا حدث بين اسم القائد البرتغالى (المفترض انه فاسكو داجاما) واسم الميناء الذى التقى فيه ابن ماجد مع داجاما وهو (مالندى) او (ملندى) على الساحل الشرقى لأفريقيا فاسم (الى ملندى) ليس اسما ذا طابع برتغالى ، لذلك نعتقد ان هناك خلطا حدث بين اسم القبطان البرتغالى والميناء الأفريقى ٠

— المقصود بزقاق سبّطة المشار اليه مضيق جبل طارق ، وان كان المعروف أن سفن داجاما خرجت من البرتغال ٠
— يلجئون فى الظلمات — المقصود المحيط الاطلسى ٠
— لا نعرف المقصود بقوله أصل بحر النيل ٠

— أحمد بن ماجد المشار له فى النص هو الريان النجدى المعروف بكتبه فى وصف البحار ٠ وقد ولد فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى فى جلفار على الساحل العربى لخليج عمان ٠ ومن كتبه كتاب «الفوائد فى أصول علوم البحر والقواعد» وله عدة أراجيز (جمع أرجوزة) فى علوم البحار ٠

— عن ابن ماجد انظر : أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ٠ الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٧ وكرايتشوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين هاشم ج ٢ ، ص ٥٧٣ ٠

(١٤) انظر نص ترجمة الرحلة ص ٤٤ .

(١٥) ص ٤٢ ، ٤٤ من هذه الترجمة .

(١٦) ص ٤٧ من هذه الترجمة .

(١٧) ص ٤٧ من هذه الترجمة .

(١٨) ص ٤٨ من هذه الترجمة .

(١٩) يرى أحمد الباحثين (محمد محمود محمددين استاذ الجغرافيا المساعد بجامعة الملك سعود) أن قطب الدين النهروالى أنف الذكر (حاشية ١٣) قد افترى قصة ارشاد ابن ماجد لفاسكو دى جاما لأنه - أى النهروالى - من نهروالة وهى مدينة تقع الى الغرب من كجرات فى الهند) وأنه أراد أن يبعد بلاده عن عار ارشاد ملاح منها هو المعلم كان أو كانا لفاسكو داجاما ، ويسوق الباحث ادلة أخرى منها أن ابن ماجد لا يمكن أن يشرب الخمر ، وأن البرتغاليين لم يشيروا لملاح مسلم ارشدهم ٠٠٠ الخ والواقع أن قراءة النص المترجم لرحلة داجاما تؤكد استعانة بأكثر من ملاح مسلم بالاقنصاع أو بالخديعة . فقد قدم داجاما لمسافة محدودة فى المحيط الأطلسى ليقدم له خبراته فى هذا يسقط هذا الدفاع الذى لا مبرر له .

انظر البحث المذكور : مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود المجلد ١٩٧٩/٦ صص ٦٧-٥٥ .

(٢٠) انظر ترجمة الرحالة ص ٩٤ .

(٢١) انظر ص ٥٩ من هذه الترجمة .

(٢٢) انظر ص ٦٩ من هذه الترجمة .

(٢٣) انظر ص ٦٥ و ٦٧ من هذه الترجمة .

(٢٤) Eric Axilon : Op. cit., pp. 1-VII.

(٢٥) عند خط عرض ٢٤ شمالا تقريبا فى مواجهة الساحل الغربى وإن بعدت عنه .

(٢٦) terra تعنى « أرض » .

(٢٧) انظر الخرائط التوضيحية ، وهى اضافة من المترجم ولا وجود لها فى النص المترجم .

(٢٨) قام بارثولوميو دياز Bartholomeu Diaz سنة ١٤٨٦ برحلة وصلت لأول مرة الى الطريق الجنوبى لأفريقيا وعبره شرقا لمسافة قصيرة ،

وهو الذى أطلق على الرأس اسم رأس الرجاء الصالح رغم انه عبره فى جو عاصف ، ونفهم من النص الذى نترجمه أن باثولومو دياز قد صاحب داجاما لمسافة محدودة فى المحيط الأطلسى ليقدّم له خبراته فى هذا المضمار .

(٢٩) على ساحل غانا الحالية .

(٣٠) الفرنسغ يتراوح بين ٢٤ و ٦٤ ميلا .

(٣١) الفاك ، والمفرد غاكة (بفتح الغين والقاف) طير مائى من فصيلة البجع ومن أسمائه أيضا Coal goose وكذلك Sea varen
عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية .

(٣٢) زمج الماء بضم الزاى وفتح الميم وتشديدها هو جنس طير يطير أسرابا فوق البحار والشواطىء وريشه طويل وهو من جنس كفيات القدم (كفيات : بتشديد الفاء وكسرها) . عن معجم الشهابى .

(٣٣) الأطرغلات : مفردا أطرغلة (بضم الألف وتسكين الطاء وضم الراء وفتح اللام وتشديدها) وهى على أنواع : أطرغلة الشام وقمرية مصر ، وتسمى شفتين فى العراق . وهو طائر مشهور يؤكل لحمه . عن معجم الشهابى .

(٣٤) القبرات : والمفرد قبره بضم القاف وفتح الباء وتشديدها . جنس طير من فصيلة القبريات ورقبة الجواثم المخروطية المناقير .

عن المعجم الشهابى .

(٣٥) هذا دليل آخر على أن خبرات المكتشفين السابقين كانت بين يدى داجاما ، فقد كان يبرو هذا أحد البحارة المرافقين لبارثولومو دياز فى رحلته آنفة الذكر . (انظر حاشية ٢٨) .

(٣٦) عمود حجرى يعلوه صليب وهو شعار للسيادة البرتغالية المسيحية .

(٣٧) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

(٣٨) حوالى ثلاثة أرباع البايנט Pint وهو حوالى ثمن جالون

١. حوالى ٣٢/٣ من الجالون . (عن معجم المورد) .

(٢٩) المحيط الهندي والهند ويلاحظ أنه لم يذكر اسم الهند مرة واحدة مما يدل أن هدف الرحلة كان سرىا . راجع مقدمة المترجم .

(٤٠) هو مرض الاسقربوط غالبا .

(٤١) ما بين القوسين تعليق اريك اكسيلون .

(٤٢) ما بين القوسين تعليق اريك اكسيلون .

(٤٣) الربعية أو ذات الربع آلة لقياس الارتفاع الزاوى . ربع دائرة:

٩٠ درجة ، $\frac{360}{4} = 90$ ، أما الإبر الجنوية Genosse Needle فالمقصود

بها هو البوصلات .

(٤٤) راجع مقدمة المترجم .

(٤٥) فى موزمبيق الحالية ، ورغبة فى اختصار التعليقات نحيل

القارئ للخرائط المنشورة فى هذا الكتاب .

(٤٦) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ان indian fig

تعنى الصبار الهندى المعروف أو صبار القرمز (بضم القاف) والمصطلح العلمى الدال عليه هو Opuntia وهو جنس نباتات من الفصيلة اللحمية ، والمقصود فى المتن هو تين شبيه بالتين الشوكى فى مصر Opuntia Vulgaris ويسمى أيضا تبين البربر وتين الهند ، ومن الواضح أنه فى هذه المنطقة كبير الحجم .

(٤٧) Cocos يقصد : النارجيل ؛ وأشهرها نارجيل جوز

الهند . عن معجم الشهابى .

(٤٨) عن معجم الشهابى ان pulses تطلق على اللوبيا والبسلة

والفول والحمص والفاصوليا .

(٤٩) يقال أن العرب هم الذين أطلقوا هذا الاسم على سكان هذه

الأثناء ثم حرفت لتصبح الكافير Cafres ، وهو أمر غير مستبعد فنحن نلمح كثيرا من الألفاظ ذوات الطابع العربى ، مثل Sena (وقد تكون صنعاء الجديدة و Musimus وتعنى المواسم (جمع موسم) وغيرها .

(٥٠) رماح نحيلة .

(٥١) الزمبيزى رابع أنهار أفريقيا طولا ، وقد ارتبط كشفه بالرحالة

الشهير دافيد لفنجستون الذى اكتشف بحيرة نجامى Nagami فى جنوب غرب الزمبيزى ووصل الى أحد فروع النهر سنة ١٨٥١ وتتبع النهر حتى مصبه واكتشف المساقط التى تعترض مجرى النهر والتى سميت شلالات

فكتوريا التى تقع على بعد ٧٥٠ ميلا تقريبا من منابع النهر ، وفى ١٨٥٦ وصل لنقطة التقاء الزمبيزى مع نهر لوانجا Loangwa وحاول لفنجستون تتبع النهر من مصبه الى منبعه ولكنه لم يصل الى ابعد من تيتى Tete التى اشار اليها القس دوز سانتوس فاتجه الى شيرى Shire أحد فروع الزمبيزى وصعد فى مجراه حتى بحيرة نيانا ، وقام بجولات أخرى فى بحيرة تنجانيقا ونهر الكونغو .

شوقى الجمل : مرجع سابق صص ٩٧ - ١٠٠ .

(٥٢) ماناموتابا هى زمبابوى الحالية .

(٥٣) قيام علماء الدين بمتابعة الدراسات الأنثروبولوجية يفيد كثيرا فى فهم بعض النصوص الدينية ، فقد عرفت معظم الحضارات البدائية ضرورة تقديم (هدية) للزعيم قبل الحديث اليه ، ومن المعروف أن جانبها من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام قد شهد ذلك ثم نسخ هذا أى الغنى ، فكان الاسلام هنا نسخ تراثا وثنيا من الحضارات القديمة - (المترجم)

اقراء في هذه السلسلة

برتراند رسل	احلام الاعلام وقصص اخرى
ي . رادونسكايا	الالكترونيات والحياة الحديثة
الدس هكسلى	نقطة مقابل نقطة
ت . و . فريمان	الجغرافيا فى مائة عام
زايمونت وليامز	الثقافة والمجتمع
ر . ج . فوربس	تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
ليسترديل راي	الارض الغامضة
والتر آلن	الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	المرشد الى فن المسرح
فرانسوا دوماس	آلهة مصر
د . قدرى حنفى وآخرون	الانسان المصرى على الشاشة
أولج فولكف	القاهرة منيئة ألف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام مكدونالد	مجموعات الفسود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق
د . محسن جاسم الموسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الادبى
اشراف س . بى . كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الانسان الفريد
بول لويس	الرواية الحديثة
د . عبد المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
اثور المعداوى	على محمود طه
بيل شول وأدنبيت	القوة النفسية للإهرام
د . صفاء خلوصى	فن الترجمة
والف فى مائلو	تولستوى
فيكتور برونمبير	بستندال

- رسائل وأحاديث من المنفى
الجزء والكل (مصاورات هي مضممار فيرنز ميزنبرج
الفيزياء الذرية)
التراث الغامض ماركس والماركسيون
فن الأدب الروائي عند تولستوى
أدب الأطفال
أحمد حسن الزيات
أعلام العرب في الكيمياء
فكرة المسرح
الجحيم
صنع القرار السياسي
التطور الحضارى للإنسان
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال
تربية الدواجن
الموتى وعالمهم في مصر القديمة
التصل والطب
سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية اناء
مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة
الصحافة
أثر الكوميديا الإلهية لدانتى في الفن
التشكيلى
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية
وبعدها
حركة عدم الانحياز في عالم متغير
الفكر الأوربي الحديث (٤ ج)
الفن التشكيلى المعاصر في الوطن العربى
١٩٨٥ - ١٨٨٥
الفتنة الأسرية والأبناء الصغار
شوكت الربيعى
د. محيى الدين أحمد حسين
- فيكتور هوجو
ق ٠ ع ٠ أدنيكوف
هادى نعمان الهيتى
د ٠ نعمة رحيم العزائى
د ٠ فاضل أحمد الطائى
فرنسيس فرجون
هنرى باربوس
السيد عيسوه
جاكوب براونوفسكى
د ٠ روجر ستروجان
كاتى ثير
ا ٠ سبنسر
د ٠ ناعوم بيتروفيتش
جوزيف داموسوس
د ٠ لينوار تشامبرز رايت
د ٠ جون شمسندار
بيسر اليبير
الدكتور غريال وهبة
د ٠ رمسيس عيسى
د ٠ محمد نعمان جلال
فرانكلين ل ٠ باومر
شوكت الربيعى
د ٠ محيى الدين أحمد حسين

نظريات القيلم الكبرى	تأليف : ج . دادلى اندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون نشأت وأين توجد	جوهان دورنشر
حرب الفضاء	طائفة من العلماء الأمريكين
ادارة الصراعات الدولية	د . السيد علىوة
الميكروكمبيوتر	د . مصطفى عثمانى
مختارات من الادب اليابانى	صبرى الفضل
الفكر الاوروبى الحديث ج ٢	فرانكاين ل . باومر
تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة	جابريل باير
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	انطونى دى كرسبى
كتابة السيناريو للسينما	دايت سوين
الزمن وقياسه	زافيلسكى ف . س
اجهزة تكيف الهسواء	ابراهيم القرضاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر زداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
التجربة اليونانية	س . م پورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د . عاصم محمد رزق
العلم والطلاب والمدراس	رونالد د . سمپسون
الشارع المصرى والفكر	ونورمان د . اندرسون
حوار حول التنمية الاقتصادية	د . اتور عبد الملك
تبسيط الكيمياء	والث روستو
العادات والتقاليد المصرية	فريد . س . هيس
التذوق السينمائى	جون بوركهارت
التخطيط السياحى	آلان كاسير
البذور الكونية	سامى عبد المعطى
دراما الشاشة (٢ ج)	فريد هيريل
الهيرويين والايدز	شندرا ويكراماسينغ
صوّر افريقية	روى روبرتسون
	دوركاس ماكلينتوك

د * محمود سرى طه
بيتر لورى
بوريس فيدروفيتش سيرجيف
وليام بينر
ديفيد الدرتون
جميعها : جون ر بورر

وميلتون جولدينجر
أرنولد توينبى
د * صالح رضا
م * ه * كنج وآخرون
جورج جاموف
د * السيد طه أبو سديدة

جاليليو جاليليه
أريك موريس ، آلان هو
سيريل السريد
آرثر كيسلر
توماس * هاريس
مجموعة من الباحثين
روى أرمز
ناجى متشيو
بول هاريسون
ميكايل المي ، جيمس لفلوك
فيكتور مورجان
اعداد محمد كمال اسماعيل
الفردوسى الطوسى
بيرتون بورتر
جاك كرابس جوتير
محمد فؤاد ، كوبريلي

الكمبيوتر فى مجالات الحياة
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية
وظائف الاعضاء من الألف الى الياء
الهندسة الوراثية
تربية أسماك الزينة
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)

الفكر التاريخى عند الإغريق
قضايا الفن التشكيلى
التغذية فى البلدان النامية
بداية بلا نهائية
الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية
حوار حول النظامين الرئيسيين

الكسون
الارهاب
اختنااتون
القبيلة الثالثة عشرة
التوافق النفسى
الدليل البيئى جرافى
لغة الصورة
الثورة الإصلاحية فى اليابان
العالم الثالث عمدا
الانقراض الكبير
تاريخ النقود
التحليل والتوزيع الأوروكستريالى
الشاهنامه (٢ ج)
الحياة الكريمة (٢ ج)

كتاية التاريخ فى مصر ١٩٠
قياس الدولة العثمانية

عن النقد السينمائي الأمريكي	ادوارد مري
ترانيم زرادشت	اختيار / د. فيليب عطية
السينما العربية	اعداد / موني براح
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص اخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هينر
التاريخ من شتى جوانبه (ثلاثة أجزاء)	ستيفن اوزمنت
الحملة الصليبية الاولى	جونانان ريلي سميث
التمثيل للسينما والتليفزيون	توني بار
قيام الدولة العثمانية	محمد فؤاد كوبريلي
العثمانيون في اوربا	بول كونر
الكنايس القبطية القديمة في مصر (جزئين)	الفريد ج. بتلر
رحلات فارقيما	الحاج يونس المصري
انهم يصنعون البشر ٢	فانس بكارد
في النقد السينمائي الفرنسي	اختيار / د. رفيق الصبان
الحياة الكريمة	بيرتون بوتر
السينما الخيالية	بيتر نيكو للنر
السلطة والفرد	برتراند راصل
الازهر في ألف عام	بيارد دوج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخت
سفر قامه	ناصر خسرو علوي
مصر الرومانية	نفتالي لويس
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر	جاءه كرايس جونيور
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
مختارات من الاداب الاسيوية	اختيار / صبري الفضل

الكاتب الحديث	ج. س. فريزر
كتب غيرت الفكر الإنساني (٣ ج)	أحمد محمد الشنواني
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لورتيو تود
حديث النهر	اعداد / سوريال عيد الملك
من هم القطار	د. ابرار كريم الله
ماستريخت	اعداد / محمد جابر الجزار
معالم تاريخ الانسانية ٤ ج	ه. ج. ولز
الحملة الصليبية	ستيفن رانسيان
حضارة الاسلام	جوستاف جرونيباوم
رحلة بيرتون ٣ ج	ريتشارد ف. بيرتون
الحضارة الاسلامية	آدم متنز
الطفل	أرنلد جزل

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/١١٥٢٠

ISBN — 977 — 01 — 4228 — X



رغم كثرة ما كتب عن رحلة فاسكو داجاما وأهميتها في تاريخ منطقتنا العربية واثارها الخطيرة لكن نص هذه الرحلة الاصلى لم يترجم حتى اليوم إلى لغتنا العربية وهذه هي المحاولة الأولى لتقديم هذا النص الهام لرحلة فاسكو داجاما للهند مروراً بسواحل أفريقيا العربية فرأس الرجاء الصالح فسواحل أفريقيا الشرقية حتى مالدي. كما يضم هذا الكتاب حاسباً من نص رحلة الفرس الدومنيكاني جاز دور سانتوس الذي وصل من لشبونة إلى موريسيق ويعد نص رحلة دور سانتوس بالإضافة لنص يوميات رحلة داجاما هما أهم نصين متاحين عن الجهود الكشفية البرتغالية في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر